روايات عبير



جانيت ديلي

على حصان الفجر

١١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
SONORA SUNDOWN

١ - النار والرجل

تراقصت ذرة ذهبية من النور فوق نباتات المريمية معلنة اقتراب غروب الشمس. وانحنت رؤوس العشب المرهفة اذعاناً لنسيم المساء المتثائب بحفيف بطيء.

وانطلق طائر الجواب السريع في اتجاه مواز لحصان عربي رمادي اللون، يخطو بخفة فوق مساحة الرمل المفروشة بالحصى. وانحرف طائر الجواب فجأة صوب نجماً من النباتات الشائكة، ثم اختفى عن الانظار. وغيرت لمسة اللجام للعنق الاملس الرمادي اتجاه الحصان نحو اليمين حيث تنبسط صخرة عريضة جرداء، واقفة سداً منيعاً بين نباتات الصحراء وبقية الارض المنحدرة.

وصلصلت حدوات الحصان المعدنية فوق الصخر الاجرد.

فأوقفت براندي ايمس حصانها هناك محدقة الى المناظر المترامية من موقعها المطل.

استدارت اذن رمادية نحوها. ومد الحصان عنقه احتجاجاً على اللجام المشدود دافعاً رأسه الى الوراء بتأفف.

كان اللون الاصفر الشاحب قد اخذ يغزو زرقة السماء. وانتشرت اصابع برتقالية من الافق الغربي، مبدلة لون الظلال التي سكبتها الشمس الغاربة، وحتى خصلات شعر براندي الذهبية اكتست لوناً نحاسياً. قالت بذهن شارد محدثة الحصان عن أفكارها بصوت مرتفع:

وددتُ لو كنت رسامة لأرسم لوحة رائعة كهذه، غير ان الصورة تتبدل بشكل سحري. كأنك تشاهد تفتح برعم ببطء وتحوله الى اشعاع مزهر.

صهل الحصان، فضحكت براندي ضحكة رقيقة:

ـ هل تعتقد انني جامحة الخيال يا رشاد؟ سوف تكتشف مع مرور الايام ان غروب الشمس في ولاية اريزونا يبعث فيّ مشاعر غريبة.

وبعد ان لفّت طرف اللجام حول مقدمة سرجها الاميركي الغربي، ترجّلت براندي بخفة متناهية، متحركة برشاقة فطرية نحو رأس حصانها. توقفت هناك متحرية الخيوط القرمزية الاولى التي اخذت تلامس ذيل الغيوم المتناثرة في الفضاء.

وتوهجت قسمات وجهها المغمورة باشعة الشمس في سمرة ذهبية شاحبة. وزاد من بروز عينيها المستديرتين المتألقتين بلون فيروزي اخضر، شموخ أنفها المستدق الأشم، وشكل ثغرها المرهف. ونظراً لبنيتها الضامرة كانت توحي بالهشاشة والضعف، فتحجب عن الاعين قامتها المتوسطة، مركزة الانتباه على المعصم النحيل وعظام القدم المزينة. وكانت مفعمة بالحيوية التي تضفي عليها جاذبية خاصة، الا ان هدوءها الحذر الذي كان يحيط بها باستمرار ساهم في عدم لفت الانظار اليها. ولا شك ان براندي كانت ستضحك

ساخرة لو ان احداً وصفها بالخجل، لكن جواً من التحفظ كان يحيط بها، ولا يسمح الا لقلة من الناس باختراقه. اما الآن وهي تقف وحيدة، فلم تجد حرجاً في اطلاق العنان لسجيتها.

دفع الحصان كتفها برفق وكأنه يذكرها بوجوده. واستجابت بمداعبة وجهه من غير ان تحول عينيها عن غروب الشمس الحالم. قالت وهي تتنهد:

ـ كانت كارن تتفاخر اليوم في الدكان بأبهة جبال روكي الصخرية في الشمال، ومدى وعورتها وروعتها. دعها تتمتع بتلك العظمة يا رشاد، اما انا فسأحافظ على هيامي بصحراء سونورا هنا كل يوم عند مغيب الشمس.

كانت سفوح الجبال تتوهج باللون القرمزي البرتقالي، مشتعلة بكرة اللهب المنغمسة قرب أديم الارض. وانحسر امتداد السماء الزرقاء الشاسع لجهة الشرق عن انصهار ارجواني، في حين بدا الافق الغربي برتقالياً احمر دامياً. حبست انفاسها امام تناثر الالوان الغامض. وسحبت يدها بعيداً عن وجه الحصان مروراً بنعومة انفه المخملية ثم اعادتها الى خصرها.

دفع الحصان كتفها مرة ثانية نافخاً بخيشومه متذمراً، ومغيراً مواقع حوافره على الصخر الأجرد الأملس بتململ ظاهر. قالت براندي:

ـ كف عن التفكير في معدتك يا رشاد.

وربتت على انفه برشاقة رغم وضوح رغبته في قضم كمّ سترتها البيضاء.

ـ ان علفك من الشوفان والتبن سيكون في الاسطبل عندما نعود. اطمئن فلن يأكله أحد. ما اروع هذا الغروب!

ولوّحت بيدها صوب الافق.

ـ عليك ان تتعلم التمتع بهذا المنظر تماماً مثل ستار. لقد رافقتني هذه الفرس مرات عديدة عندما كنت اتناول عشائي من

السندويشات في العمق الصحراوي.

وكالمعتاد جلبت ذكرى الفرس الرقطاء شوقاً حزيناً انتشر فوق زوايا فمها. غير ان اهلها لم يلبوا رغبتها الى ان بلغت العاشرة من عمرها، فأهدوها فرساً عمرها ثمانية اعوام. وكانت هي والفرس لا تفترقان حتى لبت ستار نداء خالقها في الصيف الماضي، وذلك بعد اسبوع من ميلاد براندي العشرين.

حصلت على رشاد، الحصان العربي المفعم حيوية، في فصل الشتاء المنصرم.

وكانت براندي تجد صعوبة فائقة في تحاشي المقارنة بين شخصيتي الحصانين المختلفين كليا.

لكن براندي افترضت ان مثل هذه المقارنة بين الاثنين مجرد مسألة طبيعية في بعض الاحيان. شكّلت ستار جزءاً حيوياً من طفولتها، صديقة، زميلة، ومؤتمنة على اسرارها. ولا يعني ذلك عدم وجود الصديقات الحميمات في حياتها، بل بسبب معيشتها هنا في الريف غربي مدينة توسون، بدون جيران، ولكونها وحيدة لأهلها، أضحت براندي تعتمد اعتماداً كبيراً على رفقة فرسها.

ومع نموها أضحت تصرف وقتاً طويلاً وحيدة. لكنها لم تشعر ابدا بالوحدة والوحشة، اذ كانت محبة والديها لها ذات طبيعة ثابتة دائمة، مع انهما كانا يبديان في بعض الاحيان دهشتهما من ان براندي هي فعلا ابنتهما. وكان كل من والديها، لينورا وستيوارت ايمس قد حصل على درجة الدكتوراه في حقل دراسته المعين، وحاز على منصب الاستاذية في جامعة توسون. ولشغفهما بمهنتيهما، اظهرا استغرابهما في بداية الأمر لانعدام طموحها الثقافي في الحياة.

مع ذلك، فان درجة حبهما وحكمتهما منعتهما من محاولة اجبارها على اتباع طريق محددة. فاذا كانت تفضل التكاسل والاسترخاء في المنزل والعمل اليدوي، فانهما كانا سعيدين بما يرضيها. ولم تكن تبدو عليهما دلائل الخيبة لأن ابنتهما تجنبت اختيار حياة فكرية مثلهما.

ولم تشعر براندي مرة واحدة أن مستواها أقل من والديها نتيجة عملها ككاتبة في متجر للفنون والحرف، او لأنها غالبا ما تقوم بمعظم اعمال المنزل. ومن الصحيح انها وهي في سن العشرين، او الواحدة والعشرين، قد تأخرت في مغادرة عش طفولتها الى العالم الخارجي.

وسبق لكارن، صديقتها الحميمة الفتاة التي تعمل معها في المتجر، ان الحت على براندي للانتقال الى مدينة توسون ومشاركتها في شقة صغيرة. ولكن خطوة كهذه تعني التخلي عن رشاد وذلك الشعور السامي الذي يغمرها عندما تغادرُ منزلها نحو الصحراء، فتبتعد اميالاً عن كل شيء، وتقف في العراء حيث لا أبنية شاهقة تحجب المنظر الباهر لذلك الانبساط مع الرمل والفضاء.

وماذا عن غروب الشمس؟ كم ستفتقد الغروب لو عاشت في المدينة. كانت في بعض الاحيان تكتفي برؤية المغيب وهي تقف في فناء منزلها. وتشعر مرات اخرى، مثل الآن، بدافع خفي يحثها لامتطاء الحصان في اتجاه الصحراء ومشاهدة تأبين الطبيعة الصامت.

واستنشقت الهواء الطلق بقوة وهي تخطو نحو حافة الصخر المسطح وكأنها تبغي الالتصاق باللون البرتقالي القاني الذي غزا الفضاء. بدا الهواء حولها بارداً ساكناً. ستضطر بعد قليل لارتداء سترتها القطنية المربوطة في مؤخرة السرج. غير انها اعتبرت بعض التموج في الهواء تغييراً منعشاً إثر حرارة بعد الظهر.

قالت متمتمة:

- يا لروعتها، ولا يوجد غروب واحد مشابه للغروب الذي سبقه.

وبانت حلوة معدنية ملقاة وراءها بجانب حجر صغير. ألقت براندي نظرة فوق كتفها، وعيناها تتراقصان للحصان الرمادي المتبرم:

- لو كان والدي هنا لقدم لك تفسيراً علمياً خاصاً لمغيب الشمس المتألق.

وقالت بابتسامة خاطفة:

- ان المسألة يا رشاد تعود الى الغلاف الجوي المحيط بالارض، وكيفية تصفيته لأشعة الشمس. السبب وراء هذا التوهج الهائل للشمس عند الظهيرة يكمن في ان الضوء في هذه الفترة يكون في أقل حالاته تعرضاً للامتصاص بواسطة الغلاف الجوي، لأن الشمس حينذاك تتسنم وسط الفضاء مباشرة. مع ذلك على اشعة الشمس اجتياز طبقات اكثر من الغلاف الجوي، فترشح خارجاً الالوان الزرقاء والخضراء، في حين تظهر للعيان الالوان الحمراء والصفراء والبرتقالية. علاوة على ذلك فالغروب أشد لمعاناً في الوانه نتيجة تراكم ذرات الغبار المعلقة في الجو اثناء ساعات النهار.

اخذ لون الافق الغربي يزداد احمراراً الى ان اضحى قرمزي الظلال. شبكت براندي ابهاميها في عرى زنارها وتنهدت:

- ان وصف المغيب بكلمات مثل شعاع الضوء والغلاف الجوي يزيل عنه بعض سحره أليس كذلك؟

واحنت رأسها غارقة في تفكير عميق، وخصل الشعر الذهبية تتناثر فوق وجهها.

- المغيب يصبح اكثر متعة عندما يغلف سحره غموض عجيب.

وفجأة مزق دوي بندقية الصمت الذي خيم اثر كلماتها الرزينة. انه احد رعاة البقر يطلق النار على ذئب ضار، حدثت براندي نفسها محاولة تجاهل الموضوع لاعتقادها انه مجرد صوت حملته الصحراء عبر المسافات. غير ان الانفجار المدوي لم يغب عن بال الحصان العربي اليقظ.

واعقبت طلقة البندقية قعقعة حوافر تعدو فوق الحجارة، ودارت براندي بسرعة ليقع نظرها على طيف حصانها الهارب. فرّ رشاد منطلقاً صوب المنزل. وجاءت ردة فعلها الاولى غريزية، اذ وضعت اصبعين على فمها فخرج صفير حاد ثاقب لو سمعته فرسها ستار لاستجابت له فوراً، لكن الحصان العربي لم يفقه شيئاً.

صاحت براندي جارية وراء الحصان والحصى يعيق تقدمها:

- رشاد. يا رشاد. ارجع الى هنا.

وبعد ان جرت قليلاً ادركت ان لا سبيل الى امساك الحصان. واستطاعت من مسافة بعيدة رؤية العنق المقوسة والاذنين المنتصبتين المشرئبتين. كان متوجهاً صوب اسطبله الى علف الشوفان والتبن. وخامرها الشك انه لن يبطىء بعدوه الى أقل من الخبب حتى بلوغه المنزل.

تمتمت براندي لاعنة هذا العصيان الجامح:

- سوف أريك ايها الحصان الغبي المغفل.

لم يكن ثمة حاجة لالقاء التبعة على الحصان، هكذا فكرت وهي تداعب باصابعها المنهكة خصلات شعرها. ان الذنب ذنبها لانها لم تحكم ربط اللجام بالارض. انها تستحق طريق العودة الطويل نتيجة اهمالها المفرط. حان الوقت لتعترف ان رشاد لا يعوّل عليه مثل ستار.

وجدت بعض العزاء وقد تذكرت ان والديها خرجا من المنزل لتمضية السهرة، فهما لن يقلقا عندما يعود رشاد بدونها. وكانت الظلال تزداد قتامة، وبدا الهواء الصحراوي اكثر برودة.

لم تشعر بالأميال الخمسة التي قطعتها على ظهر الحصان، غير انها الآن وهي تسير على الاقدام في هذه البقعة من الارض ستجد الطريق طويلة وبردها قارس كما انها ستكون رحلة يعضها فيها الجوع. فكرت براندي بأسى شديد وهي تتذكر السندويشات المطوية في جراب السرج.

والقت نظرة اخيرة على احمرار الشمس الفاني. غطس الوهج الذهبي وراء الافق، وتلألأ اول نجم مسائي بشحوب في الفضاء الارجواني. سوف تهجم العتمة الآن بسرعة عجيبة. بدأت تقدّر العواقب وهي تفكر في اجتياز كل هذه المسافة على قدميها، وحيدة تماماً، وعبر الظلمة الداكنة.

سوّت براندي كتفيها وشرعت بالسير في اتجاه المنزل. اكتشفت ان سطح الارض يبدو مختلفاً الآن وهي مترجلة لا تمتطي صهوة حصانها. بانت نباتات المسكيت الشائكة والمريمية اشد سماكة، والتلة الماثلة اكثر انحداراً. وداخلها ارتياب عابر وهي تفكر في التباين الكلي لهذا المنظر عندما يهبط الظلام الدامس، ثم لم تلبث ان ألقت بخوفها الغامض جانباً.

ضاعفت خطواتها بخفة متناهية، وغمرها اليقين انها ستشاهد انوار سطح الاسطبل عندما تصبح على قاب ميلين منه، او اكثر بقليل. ستشكّل الانوار قبساً يهديها سواء السبيل في الاميال الاخيرة من رحلتها.

وهكذا تابعت المسير. كانت مشاعرها تتأرجح بين الظلال المديدة والعتمة المخيّمة. ولم يكن القمر اكبر من شظية صغيرة في سماء الليل، لا فائدة من ضوئه الشاحب الذاوي. وومضت النجوم بوهن قاتل، كأنه غبار حالم جميل لكنه لا يضيء ما حوله.

وبدا ان الصوت الوحيد كان وقع خطواتها تطحن الرمل والحصى مع احتكاك بنطالها بالمريمية ونبات المسكيت. وكان من الصعب عليها تفادي شجيرات الصبار الشوكي، وغالباً ما وجدت نفسها في وسطها بعد فوات الاوان فتضطر لتراجع خطوات قليلة لتلافي اشواك الشجيرات. اخذت تركز انتباهها على الارض الممتدة امامها، غير انها كانت عاجزة عن تثبيت وجهة سير منتظمة دائماً. وكلما توقفت لالتقاط انفاسها أمعنت النظر امامها لتبيّن وجهة سيرها مرة اخرى. واعتقدت مرات عديدة انها ضاعت تماماً، لكن سرعان ما كانت تتبين معالم الوجهة الاساسية فتتابع المسير.

ولشدة الظلام الدامس لم تتمكن من رؤية عقارب ساعتها، لكن براندي كانت واثقة انها بمجرد بلوغها قمة الاكمة الثالثة ستلمح انوار الاسطبل المتلألئة.

حدقت ملياً في سماء الليل الجميلة والنجوم المتألقة، وسألت

نفسها هل يمكن لهذا الليل ان يزداد ظلاماً؟. وعبرت ثغرها ابتسامة مريرة. احست بالندم لعدم اصغائها الى والدها عندما حاول ان يشرح لها مواقع النجوم والكواكب، اذ كانت استخدمت هذه المعرفة للتأكد من وجهة سيرها.

ـ ربما ان تلك الكتلة من نبات المسكيت تحجب عني الضوء.

قالت هامسة وهي تمشي باجهاد.

لم تكن تعرف مدى المسافة التي قطعتها حتى الآن. وبدا لها كأنها سارت اميالاً، لكن من المحتمل انها كانت مخطئة. اخذت تشعر بالتثاقل في خطواتها. لقد انخفضت الحرارة عدة درجات فارتجفت مسام جسمها تلقائياً من البرد.

اصيب رأسها بدوار، فأنحت باللائمة على وخز الجوع في معدتها. وصممت انها ستلتهم فور وصولها الى المنزل طبقاً هائلاً من اللحم المطهي الذي ينتظرها في الثلاجة. ولم تخفف هذه الصورة المعذبة التي ارتسمت في عقلها من قضم الفراغ في احشائها.

وبعد ألف خطوة توقفت وهي تسخر من نفسها. لا شيء حولها يبدو مألوفاً. لا بد انها انحرفت عن اتجاهها في مكان ما. سقطت على ركبتيها منهوكة القوى يعضها الجوع القاتل، غير آبهة بحبات الحصى الحادة تنغرز في لحمها. لقد ضلت سبيلها لا محالة.

وطرحت على نفسها السؤال التالي: ما هو مدى انحرافها عن وجهة سيرها الاصلية؟ وهل تتابع السير آملة رؤية اشارة واضحة توفر لها الأدلة الكافية لوضعها على الطريق الصحيح؟ لم تكن هذه هي المرة الاولى التي وجدت فيها نفسها ضائعة في الصحراء. لكنها كانت في الماضي تعتمد على فرسها سنار لتبيّن طريق العودة عندما يخفق اسلوبها العشوائي في الاكتشاف. يستحيل انها هامت على وجهها في الاتجاه الخاطىء، خاطبت نفسها بثقة جازمة. وفركت يديها بحدّة لطرد القشعريرة التي كانت تسري في ذراعيها المكشوفتين. ثم حسبت انها اذا ما تابعت سيرها في خط مستقيم فهي

ستشاهد عاجلاً ام آجلاً، انوار المنزل، او ستصل الى الدرب المفروش بالحصى المؤدي الى حظيرة الماشية المجاورة.

عقدت العزم على مواصلة السير، فالحركة حتماً افضل بكثير من القعود في مكان واحد والتجمد حتى الموت. لا شك انها تبالغ قليلاً، اذ انه من غير المحتمل بلوغ درجة البرد الى هذا الحد. كانت تدرك طبعاً ان العرف العام يقضي بالبقاء في مكان واحد عندما يضل المرء سبيله. غير انها لم تكن تهيم على وجهها تماماً. انها تمشي الى الامام سالكة طريقاً مستقيمة لا بد ان تقودها اما الى جوار منزلها او الى درب الحصى. لم تكن قد سارت مسافة طويلة عندما أحست بوخز في جنبها. ابطأت الخطى وضغطت بيدها على موضع الألم تجيل النظر فيما حولها. واعتقدت انها لمحت عن يسارها وميض ضوء خافت. لم تكن واثقة ان موقع منزلها إمّا امامها مباشرة او الى يمينها؟

وقفت صامتة تمعن النظر في البقعة التي انبعث منها الضوء محاولة اختراق الظلام الدامس واكفهرار أديم الارض. ثم رأت الضوء مرة اخرى يتذبذب ويخبو، وفكرت مغتبطة: انه ضوء بلا شك.

تقدمت براندي يحركها تصميم جديد. ولم تعد تبالي اين تقع مواطىء قدميها. ان هذا الضوء في الصحراء يدل على وجود الناس، برغم شكها انها اقتربت من منزلها.

وظهر الضوء اكثر وضوحاً وهي تسير صوبه، تعارك نباتات المريمية والصبار الشائك التي ادمت ساقيها، لكن جزمتها الجلدية الغليظة نالت القسط الاعظم من هذه العقوبة. وفجأة اتخذ الضوء شكلاً جلياً. انها نار خيمة منصوبة في ممر تلة، لا يتبينها المرء الا من جهتها هي. وخامر براندي شعور بالارتياح بحسن حظها. غير انها لشدة ارهاقها اكتفت بابتسامة فاترة:

- مرحباً!

صاحت وهي تركض متجهة نحو بريق النار، وقد غمرها ارتياح داخلي اضفى طابعاً من المرح على نبرات صوتها.

وتحرك شكل اسود عند طرف دائرة الضوء، انه موقد النار ومتقدها... بقي الشكل تستره الظلال حتى وهي تندفع نحو الدائرة المقابلة.

اعلنت بارتياح عميق:

- كم انا سعيدة برؤيتك.

وتابعت:

- لقد ضللت السبيل وانا في الطريق الى المنزل، وبدأت اقتنع اني سأقضي الليل في الصحراء وحيدة.

- حقاً؟

كان صوت الرجل خفيضاً وخشناً... لاذعاً يمتزج بغضب خفي.

قطبت براندي حاجبيها توجساً. لم تكن تتوقع استقبالاً حاراً، لكنها ظنت ان الرجل سيبدي بعض القلق عندما تشرح له انها ضلت سبيلها!

- لقد... لقد كنت اتنزه على حصاني.

ثم قررت ان عليها الاسهاب اكثر في شرح محنتها:

- فرّ مني حصاني. وكنت اسير نحو المنزل عندما هبط الليل. ولا بد انني اتخذت حينذاك اتجاهاً خاطئاً.

خيمت لحظة من الصمت الثقيل قبل ان يجيبها الرجل الذي تستره الظلال:

- ووجدت نفسك فجأة امام خيمتي، أليس كذلك؟

ومرة اخرى غشت صوته الخفيض سخرية لاذعة، قاسية.

- شاهدت الضوء المنبعث من الخيمة فكان منظراً يبعث على السرور.

تكلمت متلعثمة، محاولة اختراق الظلام علّها تستطيع رؤية اكثر من شكل انسان قاتم. وترامى الى اذنيها وقع حوافر حصان يتململ في العتم الداكن، فأحست براندي بتصبب العرق في راحتي يديها.

وفجأة ادركت انها لم تكن محظوظة فعلاً. من هو هذا الرجل، وماذا يفعل هنا وسط الصحراء؟

شرعت النيران تلتهم غصناً غليظاً فتهاوى طرفاه وسط اللهب، وازداد سطوع النيران مشعة بقوس أشدّ اتساعاً غمر شكل الرجل الغريب. ولمع شيء ما في يده، فانتاب براندي هلع شديد لرؤيتها نصل سكين يتهددها.

وارتطمت نظرتها المحدقة بوجهه. كانت حافة قبعته العريضة مشدودة الى الاسفل فلم تلمح سوى بريق عينيه الخافت، ونمو شعر خشن اسود يكسو فكه وخده وذقنه.

انه شعره يتسم ببعض الطول، لكنه لا ينبسط في لحية تامة عامرة. وكان يرتدي سترة جلدية فوق قميص أسود قاتم مما ضاعف من عرض منكبيه، وبنطالاً ضيقاً يشد جسمه بإحكام. وبدا في وهج النار المتماوجة انه اكثر ضخامة مما تبادر الى ذهن راندي في البداية... اكثر ضخامة، ومثيراً للرعب.

لم يبعث مظهره الزري هذا الطمأنينة في نفسها. وكان الغضب يتملكه لانها وجدته في هذا المكان، مما يعني انه يخفي شيئاً. بلعت براندي ريقها. هل هو سارق ماشية؟ انه استنتاج منطقي. اذ ان سارقي الماشية اصبحوا كالوباء اكثر انتشارا مما كانوا عليه في الايام الاولى للغرب الاميركي. وازدادت قناعتها بصحة رأيها وهي تشبع هذه المعضلة تمحيصاً.

ليس راعي بقر من حظيرة الماشية المجاورة، فهي تستطيع التعرف على معظم رعاة البقر هناك. ويندر في هذا العصر الحديث ذي الجياد المقطورة والسيارات مصادفة راع للبقر ينصب خيمة في هذا العراء. أيّاً كان غرض هذا الرجل فهو حتماً سيء النية. ما هذه المصيبة التي اقحمت نفسها فيها؟ لقد رأته، وتعلم انه يخيم هنا. وعلاوة على ذلك، انها تستطيع التعرف عليه أينما وجد بعد الآن.

سرت قشعريرة من الخوف في مفاصلها وهي تعيد النظر الى

السكين بين اصابعه. وادركت بذعر هائل انه يمكنها التعرف عليه لو استطاعت الخروج من هذه الورطة حية. قالت بصوت مضطرب:

- اسمعني، انا لا اريد ان اسبّب لك المتاعب. لو تساعدني في تحديد اتجاه بيت ايمس، فسوف امضي في سبيلي.

اجابها بتهكم ساخر:

- ستمضين في سبيلك؟

ولمعت اسنانه البيضاء وسط تلك اللحية السوداء، وشفته العليا تلوك الكلمات:

- قد تضلين الطريق مرة اخرى؟

وبدا من بريق عينيه انه يجد هذه الامكانية مثيرة للضحك، لكن براندي ادركت تماماً ما الذي يعنيه. لم يكن ينوي اخلاء سبيلها، فغمرتها موجة من الحزن والذعر. وعندما تقدم الرجل خطوة نحوها، عرفت ان امامها خياراً واحداً.

وبصرخة تضج خوفاً اطلقت ساقيها للريح باتجاه الصحراء، غير عابئة الى اين تقودها قدماها يكفيها انها تركض بعيداً عن النار والرجل. ولم تسمع وطء خطوات تتعقبها لشدة الضجيج الذي تثيره.

أدّى بها هروبها الى درب تحجبها شجيرات خضراء كثيفة، واذا بالاغصان الشائكة ونباتات الصبار تمعن تمزيقاً في جلدها وقميصها، فدخلت في صراع منهك مع عوامل الطبيعة والصحراء الصخرية، ولم تتمكن من متابعة ركضها الا بشقّ النفس.

ثم زلّت بها القدم، فخرجت صرخة مروعة من حنجرتها وهي تندفع بعنف الى الامام مرتطمة بالارض بقوة كادت تقضي عليها. وتدحرجت على ظهرها محاولة استرجاع انفاسها، لا تبالي بالاشواك الحادة المنتشرة تحتها.

فتحت عينيها ببطء فتسمرتا على الرجل الطويل ينتصب فوقها مباشرة. تجمدت في مكانها لا تستطيع حراكاً.

قال بتنهد ممزوج بالغضب:
- لقد ارتكبت حماقة لا تغتفر.
وبدأ ينحني بقامته نحوها، فازدادت براندي التصاقاً بالارض.
- لا تلمسني!
رن صوتها متحديا برغم الخوف الذي يكتنفها.
- اسكتي!
هز رأسه وجرّها بفظاظة بشعة، فأخذت تتلوى وتركل محاولة الافلات من اصابعه الفولاذية. قاومت بعنف الى ان اشتبكت جزمتها بعظم ساقه.
- ايتها الفتاة الوقحة.
غمغم متبرماً:
- ما الذي تريدين اثباته؟
وبسرعة فائقة التفت يده على معصمها ورفعها عن الارض، وحشرها تحت ذراعه مستعيناً بوركيه. وظلت قدماها تركلان الهواء وهو يحملها عائدا الى خيمته بدون عناء كأنها كيس من البطاطس.
ألحّت عليه براندي بصوت مرتجف.
- اتركني والا بدأت الصراخ!
فردّ عليها الرجل بكياسة خبيثة:
- لا مانع لدي. باشري بالصراخ اذا كنت ترغبين. فقد تهجم كل الأفاعي والعقارب لانقاذك.
عندئذ ادركت ان صرخات استغاثتها ستذهب ادراج الرياح، فازدادت مقاومتها عنفاً للتخلص من القبضة الفولاذية التي سمرت يديها ورفعتها بسهولة عن الارض.
بلغا نار الخيمة وقبضته لا تزال تمسكها بقوة. ثم انحنى وانزلها على قدميها بخشونة بالغة.
وما ان اخلى سبيلها حتى راحت تركض عائدة الى أمان الصحراء. لكنه لم يلبث ان لحق بها، غارزاً اصابعه الغليظة في لحم

كتفيها الطري، وجذبها نحوصدره الصلب
صرخت بصوت متأوه:
- دعني اذهب.
قال ساخراً:
- انك ضائعة، هاه؟ او هل لديك بعض الاصدقاء في الجهة المقابلة من الأكمة؟
احتجت براندي بارتباك فعلي:
- كلا،
لقد اخبرتك انني ضائعة. اقسم لك انه لا يوجد أحد معي.
وادركت بعد فوات الأوان انها ارتكبت هفوة مشؤومة. فلو ظن ان احداً ما ينتظرها في الجوار، ربما امتنع عن الاساءة اليها. اما الآن فهو لن يتصرف بحذر واحتراس.
وجدّد الهلع من عزيمتها لتحاول الهروب مرة اخرى. فراحت تلطمه بمرفقيها وكعبي جزمتها، متلوية للافلات من قبضة يده الفظة، ولهاث انفاسها يبعث على الحزن والشفقة.
قال بصوت هادر:
- لن احتمل نوبات الهستيريا هذه طويلاً.
وتمكنت بطريقة ما من شك قدمها خلف رجله فافقدته توازنه. تراخت قبضته قليلاً، غير انه استطاع جرّها معه نحو الارض. وقبل ان تتمكن من الانفلات تكوّم فوقها، فلم تحرك ساكنا وهو يكاد يسحقها بثقله.
وحاولت غرز اظافرها في عينيه اللامعتين القاتمتين مطلقة صيحة مخنوقة، لكنها فشلت فشلا ذريعاً.
وبلمح البصر امتدت ذراعاه فوق رأسها مسمراً معصميها بيديه. استمرت تحاول الافلات منه، غير انه كان فائق الثقل والقوة.
قال بعنف لاذع:
- هل ستستمرين في المقاومة؟ انك لا تفعلين اكثر من اثبات مدى

خبلك!

توقفت عن الحركة لالتقاط انفاسها. كان رأسها ملتوياً لجهة واحدة ومشدوداً الى حده الاقصى. ومع ان عينيها كانتا مطبقتين بإحكام، فقد ظلت تحس بلهاثه الحار. انها اسيرة هذه العضلات الماحقة.

وكادت رائحته الكريهة تخنقها.

تدافعت الكلمات يائسة بين اسنانها

- انصرف عني. إياك ان تلمسني!

- كلا، قال بصوت هازىء سأفعل ما يحلو لي فانت تستحقين هذه المعاملة.

انتابها توجس رهيب، لكنها لم تنبس ببنت شفة. لقد خافت على حياتها الى حد إهمالها أي خطر آخر. انفتحت اهدابها والخوف يملأ عينيها الخضراوين، واخذ رأسها يترنح وهي تخاطبه متوسلة اليه الاّ يمسّها بأذى.

خيل اليها الآن ان وجهه يزداد صرامة وجموداً تماماً مثل وجهها. واحست بالشلل يدب في جسمها، فلم يعد في وسعها سوى التمدد ساكنة لا تجرؤ على التنفس. وتوقعت انه سيعانقها بخشونة في اية لحظة، فالتهبت الفكرة كالنيران في شرايينها. قالت هامسة:

- ارجوك.

وعندما لم تبدر منه حركة اضافت:

- ارجوك دعني في سبيلي. اقسم لك انني لن اخبر الشرطة.

اعتقدت الآن انها قادرة على تجاوز محنتها، لكن الشكوك ظلت تساورها حول نواياه. وبدا لها ان توتراً مشحوناً قد تملكه وعيناه تتفحصان وجهها.

كانت قبعته قد سقطت عن رأسه اثناء العراك، ووقع نظرها دون ارادة منها على شعره الاسود المتراجع الى الوراء، والأشعث الوسخ كبقية مظهره. بقي صامتاً لحظة خالتها دهراً، وقال مؤنباً:

- ما الذي تريدين حجبه عن الشرطة؟

ولاحظت ان بؤبؤي عينيه قد ضاقا حذراً مع ابتعاده عنها قيد بوصة.

وعدته مرتعشة:

- لن... لن اخبرهم انني شاهدتك، أعني... انني لم أشاهدك فعلاً تسرق ماشية، لذلك فانا اقول الحقيقة. أعدك اني لن ابوح بشيء حول لقائنا.

وانفرجت اساريره عن ابتسامة.

- اذن انت فطنت الى سبب وجودي هنا؟

أحنت رأسها بتردد، متمنية لو انها تجنبت ذكر اي شيء حول سرقة الماشية. ربما جعلته كلماتها تلك اكثر تصميماً على احتجازها. وتدحرج بعيداً عنها بسرعة خارقة برغم ضخامته، وانتصب واقفاً، شامخاً فوق قامتها الممدة ارضاً، واضعاً يديه على وركيه.

تساءل بصوت مليء سخرية:

- وانت تتعهدين بالحفاظ على سري الصغير؟

- اذا ما تركتني اذهب.

عدّلت براندي وعدها بعجل، وتحركت ببطء محاولة الجلوس، لا تجرؤ على تحويل عينيها عن الرجل الذي يراقبها بتمعن ودقة. ولاحظت للمرة الاولى ان قميصها ممزق، اذ كانت نقط الدم القاني تغطي القماش الابيض حيث خدشتها الاشواك ومزقته. وبذلت جهدها ليظل مظهرها محتشماً، بدون ان تلفت الانتباه الى حركاتها.

قالت متلعثمة بقلق بالغ:

- لو... لو انك تحدد لي اتجاهي فقط.

سألها مقاطعاً:

- اين تعيشين؟

- في منزل ايمس... والدي هو ستيوارت ايمس. انه لا يبعد اكثر من خمسة عشر ميلا عن المركز الرئيسي لمزرعة سوارو، هناك فوق

منحنى التلال.

هكذا شرحت براندي له محاولة تمالك اعصابها، حيث تراخت قليلاً قبضة الخوف التي تجمعت في حلقها.

فكّر لحظة، ثم هز رأسه:

- انا لا اعرف هذا المكان للأسف الشديد. يخيل الي انه لا يوجد منزل في تلك الدرب المفروشة بالحصى. لا استطيع ان ادلّك بوضوح على الاتجاه الذي تريدينه بحيث تصلين الى هناك في هذا الظلام.

صدقت براندي كلماته. لم تعرف لماذا، ولكن شيئا في صوته اقنعها انه يقول الحقيقة. نهضت واقفة، متشبثة بفتحتي قميصها لتبدو وكأنها مزرّرة. وبرغم وقوفها امامه كان عليها رفع بصرها نحوه لشدة طوله:

- لا احتاج الى اكثر من اتجاه تقريبي.

قالت تطمئنه بسرعة:

- وفور وصولي الى بقعة مألوفة استطيع تحديد طريق العودة.

قال وهو يحملق بعينيها المتوسلتين:

- هل سيبحث اهلك عنك؟

واخذت هذه المرة تضرب اخماساً بأسداس صامتة لتقرر هل تكذب ام تكون صادقة؟

وقال صوت داخلي: الصدق أنقذها حتى الآن:

- لست متأكدة ما اذا كانوا سيبحثون عني ام لا.

اجابته بصراحة.

- لقد خرجوا هذا المساء. كل شيء يتوقف على تحققهم من وجودي عند عودتهم.

قال مصراً على انتزاع جواب اكثر وضوحاً:

- بكلمات اخرى قد لا يفتقدونك حتى الصباح.

خفضت براندي رأسها قائلة:

- هذا صحيح.

كان يدرس جوابها بتمعّن شامل.

قال اخيراً:

- مع انني ارغب بالخلاص منك لا يمكنني ارجاعك الى الصحراء لتهيمي على وجهك في الظلام. فقد تصلين الى المنزل وقد لا تصلين. ولسوء حظي قد تتعثرين وتكسرين رجلك. فيرجعك أحدهم الى خيمتي وأتحمل انا المسؤولية.

وابتعد عنها متجهاً نحو النار. وهو يفرك شعرات ذقنه الخشنة:

- انني في غنى عن متاعب كهذه.

بدأت براندي محتجة.

- ولكن...

- دعيك من الجدل الفارغ.

ثم قال مهدّداً:

- ستبيتين الليلة هنا وأعيدك الى منزلك غداً.

- لكن لا يمكنني البقاء هنا معك.

جاء رفضها عفوياً وقبل ان تتمكن من كبحه.

نظر فوق كتفه وفي عينيه وميض شرس:

- ما بالك؟ هل تخافين منح ثقتك لسارق ماشية؟

كادت تخنقها غصة في حنجرتها، وشدّت قميصها حولها. سألته بجرأة كاذبة:

- وهل انت محط ثقة؟

قال لها بحزم قاطع:

- لن نتقاسم الليلة سوى دفء هذه النار. ولكن وقوفك بعيداً هكذا سيحرمك من هذه النعمة.

ونتيجة هلعها الدائم وعراكها مع الرجل سهت براندي عن الطقس البارد هذا الليل الصحراوي. غير انها عند سماعها كلماته، اخترقت قشعريرة البرد قماش قميصها الرقيق بحدّة، وبفرائص

مرتعدة، مشت نحو دفء النار المرجوة، وحافظت على مسافة خطوتين تفصلها عن الرجل. ولأنها كانت مترددة في منحه ثقتها الكاملة، استتبّ الأمر على هدنة حذرة.

كانت حرارة النيران نعمة، ورفرفت أهدابها بعرفان جميل صامت وهي ترى يد الرجل تبتعد عن السكين. لكن الدماء تجمدت في عروقها وقد وقع نظرها على الغمد الجلدي المربوط بزناره، والذي سحب منه السكين فجأة. ومض النصل الفولاذي في وهج النيران فدبّ فيها الخوف مجدداً.

لم يلحظ الرجل الخطوة المستعجلة التي خطتها براندي الى الوراء.

- هل انت جائعة؟

قال متنقلاً الى الجهة المقابلة لها، وركع بجانب القضبان التي كانت تحمل الشواء.

قالت معترضة بصوت خفيض مع رؤيتها للحيوان المطهي المعلق بالعصا.

- نعم.

وللتوّ قدّم اليها قطعة من اللحم. وطوّقت اصابعها العظم الناتىء عبر قطعة اللحم.

سألته وهي تنحني مقرفصة بجانب النار:

- ما نوع هذا اللحم؟

- لحم ارنب.

أجابها بدون ان يرفع رأسه، وقطع لحم فخذ اخرى واستطرد متابعاً:

- ربما كانت عسيرة المضغ بعض الشيء، ولكنها طعام في أي حال.

اكتشفت براندي قساوة قطعة اللحم وهي تحاول مضغها، لكن جوعها كان أقسى، وكادت تنظف العظم تماماً عندما تبادر السؤال الى ذهنها:

- وهل اصطدت هذا الارنب؟

اجاب باحناءة رأس.

- نعم.

- وبطلقة واحدة؟

دفعه اصرارها الى القاء نظرة فضولية مستغربة على وجهها:

- نعم. طلقة واحدة لماذا؟

ارتسمت ابتسامة شاحبة فوق شفتيها:

- سمعت طلقة بندقية عند غروب الشمس جعلت حصاني يفرّ مني ويتركني هنا.

قال معترضاً بنعومة:

- اذن انا اتحمّل المسؤولية. أهذا ما تقصدين؟

- كلا.

هزت رأسها وخصلات شعرها تتراقص لحظة قصيرة.

كنت منهمكة اراقب غروب الشمس فلم أفطن الى ربطه بالارض. كانت غلطة حمقاء.

وافق بجفاف.

- نعم.

مزقت براندي قطعة اخرى من لحم الارنب. ومضغتها صامتة، متمنية لو تمهل الرجل في ابداء موافقته. لم تكن تحاول تحميله مسؤولية فرار حصانها، ولا حتى في لا وعيها. غير انها وبأقل تعديل، لها حق الركوب في هذه البقعة من الصحراء اكثر منه بما لا يقاس. فهو ليس سوى سارق خسيس للماشية . . .

٢ - ليلة لا تنسى

التهما لحم الارنب الشهي ثم تناولا الفاكهة المكّونة من ثمر الصبّار الشائك. وجلست براندي قرب النار الدافئة، وقد خمد جوعها. احتست قهوة حارة قوية في فنجان نحاسي. تمنّت لو انها تتمتع بقوتها مدة طويلة، غير ان توفّر فنجان واحد جعلها تسرع في الاحتساء لتعطي الرجل فرصة الحصول على قهوته.

وقالت متمتمة بعد احتسائها الرشفة الأخيرة من القهوة الصرفة وهي تناوله الفنجان:

- هذا رائع. الوجبة كلها رائعة. طبعاً كنت جائعة كثيراً مما دفعني الى عدم الاهتمام بنوعية الطعام.

اكتفى الرجل باحناءة الرأس وملأ فنجانه بمزيد من القهوة. لوت

براندي رأسها الى جهة واحدة وقالت مستفهمة.

- هل تأكل هذا غالباً؟ أعني هل تكتفي بما تجود به الطبيعة؟

اجابها بحركة لا مبالية:

- عندما اخرج الى الصحراء لا أحب ان أثقل نفسي بالمؤن. نعم...

فكرت براندي.

انه يحتاج في بعض الاحيان الى الاسراع لتجنّب إلقاء القبض عليه، فالسفر باحمال خفيفة مسألة منطقية جدا. ثم سألته:

- هل تأتي غالباً الى هذا المكان؟

أمعن النظر في قسماتها لحظة طويلة وألسنة النيران تتوهج امامهما.

اجابها بعفوية:

- نعم، في اغلب الاحيان.

احتسى جرعة كبيرة من القهوة وكأنها ليست حارة لاذعة كما تتذكر براندي.

اخذت تحيل التفكير في جوابه حتى ادركت انه يتعمد الغموض... فهي اذا ما اكتفت بمعرفة النزر القليل عن نشاطاته فلن تتمكن من اعطاء صورة وافية عنه للسلطات. ربما لم يثق بالوعد الذي قطعته له حول عدم البوح بأي شيء عن لقائهما. وهي في اي حال ليست متيقنة انها ستحفظ وعدها، ولعله فطن الى ذلك.

احتسى جرعة اخرى من القهوة ثم افرغ الحثالة على الارض العطشى. راقبته براندي بحذر شديد وهو ينتصب واقفا ويتوجه نحو السرج الملقى على مقربة من النار، بل تكاد ألسنتها تلسعه بين الفينة والاخرى، فتح احد الجرابين وتناول صندوقاً ابيض.

احست براندي بالفضول. قالت متسائلة وهو في طريق عودته:

- ما هذا؟

أجابها قبل ان تلمح شعار الصليب المألوف:

- انها عدّة اسعاف اولي.

ألقت براندي نظرة على ذراعها والبصمات الحمراء الواضحة التي خلّفتها الاشواك تنتشر على جلدها الطري. كانت تشعر بالوخز بين الحين والآخر، غير ان معظم الخدوش كانت سطحية برغم نظرها الموجع، فلم تعرها اهتماماً خاصاً.

قالت وهي تعلن احتجاجاً غير مباشر ضد تلقّيها اي إسعاف اولي:

- انها لا تؤلمني. أكاد لا اشعر بوجود الخدوش.

غير انه جلس مقرفصاً بجانبها، دافعاً بقبعته العريضة الى الوراء. فتح الصندوق وبدأ يصب سائلاً مطهراً من قنينة لتمتصها ضمادة من الشاش.

خاطبها بصراحة:

- سوف تشعرين بالألم اذا ما اصيبت الخدوش بالالتهاب.

ان كلامه منطقي. من يدري ربما كانت هذه الاشواك الحادة تعجّ بالجراثيم. مع ذلك خالجها شعور بالقلق وهي تفكر في علاجه لها.

قالت له بحزم:

- سأقوم انا بالمهمة.

ومدّت يدها لتناول الضمادة.

قال لها:

- من الافضل ان اعالج هذه الخدوش بنفسي.

واطبقت اصابعه على يدها الممتدة، وشرع بتنظيف بقعة نازفة على ساعدها.

اضاءت النيران وجهه. وللمرة الاولى تمكنت براندي من التمعن فيه عن قرب. بدت قسماته البارزة تفيض قوة هائلة مما عزز انطباعها الأولي عن مدى خطورته. وازداد شعر لحيته وحاجبيه ورأسه سواداً مع جلاء بشرته التي لوّحتها اشعة الشمس. وكانت لحيته القصيرة تستر فكّه الصارم ووجنتيه الضامرتين المرهفتين.

واعتقدت انه سيبدو بدون لحية بالغ الجاذبية والفتنة. قررت ان لحيته تمثل قناعاً للتنكّر. وهو يكاد يكون مألوفاً لديها. لكنها سرعان ما طردت هذه الفكرة عن ذهنها.

ولم يثر دهشتها حقاً سوى تصرفاته العفوية الهادئة. كان بالغ الثقة مسيطراً على اعصابه. وبخلاف ما تتوقعه من انسان مطارد خارج على القانون. ومع ذلك ظلت تتساءل حول السبب وراء تحوّل رجل كهذا، معتد بنفسه وفي اوائل الثلاثينات من عمره، الى سارق ماشية. ان علامة استفهام كبرى ترتسم حول هذا الرجل وتصرفاته.

حوّل اهتمامه الى ذراعها الثانية حيث انكب على معالجة الجروح والخدوش. ان يديه وأصابعه قوية سمراء اللون، ولا تبدو عليها آثار العمل اليدوي القاسي. وفوجئت بنعومتها ورقّتها ايضاً.

وايقنت بادىء ذي بدء كم هي محظوظة لخروجها سليمة بعد كل العراك الذي خاضته معه. ان رجلاً مفتول العضلات مثله يستطيع ان يكسر احد عظامها بسهولة او يتسبب بآلام اكثر سوءاً لو اراد ذلك. لكنه لم يفعل شيئاً من هذا. وجعلتها هذه الافكار اكثر اطمئناناً لحضوره.

نظّف اخر خدش في ذراعها وعقّمه ثم رمى الشاش في النار. وفتح الصندوق ثانية. لقد اختفى الوخز اللاذع من جلدها.

قالت مقرّة بعرفان الجميل:

- شكراً!

حدّق اليها بطرف عينيه رافعاً حاجبيه السوداوين ثم قال لها:

- اخلعي قميصك، وسوف انظف تلك الخدوش على صدرك.

تفرّست براندي في وجهه مشدوهة، منتبهة الى قطعة الشاش الجديدة في يده وقنينة السائل المطهّر. وتحركت يدها تلقائياً الى ياقة قميصها وكأنها تحمي نفسها فالتوى فمه على نحو ساخر امام تصرفها هذا.

قال لها بصوت هادىء:

- لماذا تعودين الى المشاكسة؟ هل تريدين تبديد جهودك مرة احرى؟ امّا ان تخلعي قميصك او اقوم بخلعه انا.

كان يعني كل كلمة نطق بها. اجابته حابسة انفاسها:

- اعطني الضمادة وانا انظف الجروح.

ومضت عيناه ببريق خبيث عندما حاول اقناع براندي بفائدة اضطلاعه بهذه المهمة توفيراً للجهد والوقت. فهزت رأسها رافضة. لكنه تابع حديثه قائلاً:

- ان جسم المرأة لا يربكني. انظري اليّ كمجرد طبيب.

اجابته محتجة:

- غير انك لست طبيباً.

- انك لا تريدين الامور الا تعقيداً باسلوبك هذا.

قال مجادلاً:

- آن لك التخلي عن حيائك.

لم يسعها سوى الاعتراف بصدق كلماته، لكن اصابعها ظلت ترتجف وهي تفك أزرار قميصها.

كان القلق يراودها في سني مراهقتها الاولى من ان جسمها النحيل لن يتحول بل سيبدو مسطح الشكل والتكوين. لكن سرعان ما تبددت مخاوفها عندما صار ممتلئاً وواضح المعالم. انها الآن تعي كل ذلك وهي تخلع قميصها الرقيق وتمسكه في حضنها متوترة الاعصاب. وتسمرت نظراتها على نسيج ياقة سترته الجلدية. لامست رطوبة الضمادة الباردة خدش عنقها. بقيت براندي متصلبة كالتمثال وهي تفكر في انحسار الرداء الذي يستر الجزء الاعلى من جسمها.

سألها وهو يعالج خدشاً في كتفها:

- قلت ان اسم عائلتك هو ايمس.

كادت براندي ترفض الاجابة على سؤاله. ثم ادركت انه يحاول تبديد مخاوفها ليس اكثر.

وبصوت منخفض اعلنت:

- اسمي براندي.

- براندي؟

وحدّق في وجهها ليتحقق من صحة قولها قبل ان يتابع معالجة كتفها. ثم قال:

- انه اسم جميل ولا شك، ويذكرني بأمور كثيرة.

سألته بابتسامة مضطربة:

- ما هو اسمك؟

تردّد لحظة ثم اجابها:

- جيم.

لم يذكر اسم عائلته. اكتفى بكلمة جيم فقط. ادركت انه يخفي بقية هويته عنها ومن المحتمل ان اسمه ليس جيم، بل اخترعه لمجرد التسلية.

قال محذراً:

- يوجد خدش في مقدمة الصدر لا بد من تعقيمه يا براندي.

وانزلقت اصابعه عن كتفها قبل ان تبدي اي اعتراض. وبنظرة خاطفة لمحت الخدش الذي اخذ يزداد احمراراً. تدفق الدم في شرايينها وتسارعت نبضات قلبها وهو يعقم هذا الجرح المؤلم. ورفع عينيه نحوها يسألها بقلق:

- هل آلمتك؟

فسارعت منكرة:

- كلا!

غمرت مسحة من الحياء الشديد وجهها، فانكب مجدداً على الضمادة حيث خيم ارتباك واضح. ان ما يجري حرك مشاعر براندي، فلم يعد بامكانها ابداء عدم الاكتراث.

سألها:

- كم عمرك؟

قطبت براندي حاجبيها مذهلة وهي تجيبه:

ـ عمري عشرون سنة. لكن لماذا؟

تمتم الكلمات:

ـ ان وجهك يحمر خجلاً كمراهقة صغيرة، او كفتاة عذراء.

وتوهجت وجنتاها بتوهجات الخجل مرة اخرى. آه لو تستطيع انكار كلماته الحاذقة، ولكن كيف السبيل الى ذلك وهو يعرف انها لا تنطق بالصدق؟ ولا يعني ذلك انها ليست ذات خبرة في هذه المسائل. . . غير ان خبرتها لا تزال ضمن نطاق معين من العناق البريء.

وبينما هي غارقة في افكارها هذه، كان قد انجز عملية التنظيف واشار عليها بارتداء قميصها.

ارتدت براندي قميصها بسرعة ولكن اصابعها راحت تضطرب وهي تبحث عن الازرار.

وراقبت جيم بطرف عينها ينهض ويمشي ليعيد صندوق الاسعاف الاولي الى مكانه في الخرج. وما ان عاد نحو النار حتى وجدت نفسها تزداد اقتراباً من ألسنة اللهب.

وسألها:

ـ هل انت متعبة؟

ألقت نظرة على ساعتها فتعجبت لاكتشافها ان الوقت قد قارب منتصف الليل. ثم اعترضت على نحو متردد:

ـ نعم.

جلب من السرج فراشاً ملفوفاً بسطه فوق الارض المسطحة قرب النار. كان فراشاً صغيراً يكفي لشخص واحد، فبلعت براندي ريقها متوجسة.

قال لها بلهجة آمرة:

ـ يمكنك النوم هنا!

وسألته لتوها وهو يتحرك قرب السرج:

ـ واين ستنام انت؟

نظر اليها نظرة هازئة متنقلاً بين وجهها وقميصها الابيض الرقيق. واعلن:

ـ ما دمت قد استعدت حشمتك فلا اعتقد انك تنوين مشاطرتي البطانية حتى لو اشتد البرد. لذلك اعتقد انني سأنام قرب النار.

قال ذلك وهو ينحني لالتقاط سترته السميكة.

قالت براندي:

ـ يمكنك ان تأخذ الفراش، وانا انام هنا بجوار النار.

مدّ ابهامه نحو البطانيات وقال بصوت لا أثر فيه للسخرية:

ـ ادخلي في الفراش ونامي!

وانصاعت لأوامره على مضض، وهي تظن انها اذا رفضت حملها بنفسه لتنفيذ ما قال. حملقت فيه غاضبة وهو يمر امامها لتعلمه انها لا تحب هذه المعاملة القسرية. لكنه بدا غير عابىء بكل ذلك.

وخلعت براندي جزمتها وانزلقت تحت البطانية متكئة برأسها على ذراعها، في حين كان جيم يزيد النار اتقاداً. لم تكن تشعر بالنعاس. وسرحت افكارها وهي تحدق الى النيران المتصاعدة نحو والديها. . . متسائلة عما اذا لاحظا غيابها من غرفتها. ربما ينظمان فريقاً للبحث عنها في هذه اللحظة. وداخلها الشك انهما لن يفتقداها حتى طلوع الفجر.

وحوّلت انظارها نحو جيم. بدا بتلك السترة المنتفخة أكثر وأقوى مما هو عليه. ماذا سيقول أهلها لو قابلوه؟

كان سؤالها غريباً، ما دامت مشاعرها لم تثبت على شيء حاسم، فهي تارة تحس بالخوف تجاهه، وطورا تبدي اعجابها بقوته وثقته بنفسه التي ادخلت الطمأنينة الى قلبها. ثم انزعجت من سخريته اللاذعة، او آلمها أسلوبه في توجيه الاوامر اليها وكأنها فتاة صغيرة وليست انسانة ناضجة. كل ما تعرفه انها لا يمكن ان تقف منه موقفا حيادياً.

فتحت عينيها المتعبتين وهي لا تدري انها نامت نوماً عميقاً.

وركزت نظرها بدهشة على الضباب الاصفر الذي ملأ السماء. اين هي النجوم؟ ان يكون الصباح قد أطل برأسه! وفجأة لمحت كرة الشمس الذهبية تبزغ فوق الافق. تكومت داخل الفراش متأوهة في حين كانت عظامها تحتج ضد قضاء الليل على هذه الارض الصلبة. كان الهواء لا يزال مشبعاً ببرودة الليل فاحست به يلسع انفها ووجنتيها. وتدحرجت بارتخاء لتواجه النار.

اكتشفت ان النيران انطفأت والرماد بارد لا حرارة فيه. وحولت عينيها مذهولة نحو مكان السرج، فلم تجده هناك.

هل غادر وتركها؟ هل قرر عدم المخاطرة بمساعدتها للعودة الى المنزل لئلا يلقى عليه القبض؟ وهل تسلل في ساعات الفجر الاولى ليبتعد عن هذه البقعة خوفاً من انها لن تفي بوعدها وتطلع السلطات على حقيقة امره؟

راحت الاسئلة تتسابق دون جواب في ذهنها. فرفعت عنها الاغطية ونهضت على قدميها مسارعة لانتعال جزمتها. وفجأة شخر حصان وراءها.

سمعت صوتاً خشناً خفيضاً يقول لها:

- من الافضل ان تنفضي هذه الجزمة قبل انتعالها. ربما ان عقرباً قرر قضاء الليل فيها.

واستدارت براندي عند سماعها الصوت فهدأ روعها عندما وقعت عيناها على صورة جيم المألوفة وهو يقود الحصان المسرج نحو النار. لم يتخلَّ عنها اذن. وعجزت عن التفوه بأي كلمة وهي تجيل النظر في سواد عينيه الغامضتين.

قامت بنفض الجزمة مصغية الى نصيحته. وخاطبته بلهجة اتهامية:

- كان عليك ايقاظي مبكراً!

اجابها بلطف:

- كنت نائمة ولم يكن ثمة ما يدعو الى ايقاظك. لا بد ان القهوة لا

تزال فاترة صالحة للشرب. اما طبق الفطور هذا الصباح فهو الأجاص البرّي.

رمى اليها بالفنجان النحاسي الذي كاد ان يهوي من بين يديها فقالت:

- القهوة تكفي.

كان الرماد يحيط بإبريق القهوة. وبعد ان صَبّت ما تبقى في قاعه تكوّمت براندي قرب النار. لم تكن سترتها الرقيقة تحميها ضد البرد القارس، فحاولت الافادة من حرارة الرماد المحتضرة. وراقبت بطرف عينيها جيم وهو يشد حزام السرج على الحصان.

سألها على نحو غير متوقع:

- هل نمت جيداً؟

اجابت براندي بتسرع وهي تلعن كلماتها الدفاعية:

- نعم، لماذا؟

فقال لها وهو يكمل إعداد الحصان للرحلة:

- انه مجرد سؤال ليس الا.

مشى نحو النار والقى بحثالة القهوة فوق الرماد. وحرك حبات الفحم السود بعصا صغيرة ليتأكد من عدم وجود بعض الجمر. ثم تابع:

- هل اعتقدت انني رحلت وتركتك وحيدة هنا؟ هل هذا ما يزعجك؟

تسمرت عيناها على وجهه مصطدمة بنظراته الهازئة الحادة. واجابته وهي تهز رأسها:

- ذلك أمر محتمل.

- نعم هذا محتمل

قال وهو يمسك بابريق القهوة الفارغ:

- هل فرغت من رشف القهوة؟

بلعت براندي بسرعة ما تبقى من السائل الفاتر واعطته الفنجان،

مراقبة إياه وهو يضع الابريق والفنجان في السرج. بقيت البطانية ملقاة على الأرض فأحست بقشعريرة غريبة وهي تفكر بالدفء الذي توفره.

وحدقت الى القرص المعلق في فضاء الصباح وقالت:

- تحركي ايتها الشمس. تحركي وابعثي الدفء في صحرائك!

لم يكن وقوفها في مكان واحد يساعدها على الدفء. خطت نحو فراشها والتقطت البطانية السميكة. وما ان نفضتها من الغبار حتى تلقفها جيم معلناً:

- انا سآخذها.

ترددت لحظة قصيرة ثم أرخت قبضتها عن البطانية بحركة متأففة. هل يظن انها غير قادرة على طيّها بترتيب يلائم مواصفاته؟

ورفعت البساط المفروش على الارض نافضة إياه على عجل وهي لا تكاد تصدق عينيها. استدارت بفضول لترى نصل سكّينه يمزق دائرة صغيرة وسط البطانية.

قالت مندهشة:

- ماذا تفعل؟

أعاد السكين الى مقبضها الحديدي المتدلي من حزامه، وخاطبها قائلاً:

- لن يصبح الجو دافئاً قبل ساعة او اكثر. وقد تتحولين الى قالب من الثلج قبل ذلك.

وبدون استفاضة في الحديث غطى رأسها بالبطانية ثم تابع:

- يمكنك شدّ البطانية حول خصرك بحزامك.

وقفت براندي مسمرة النظرات على البطانية لا تدري ما تقول. وقد اضحت الآن ترتدي معطفاً. وأحست بالدفء يسري في جسمها فهدأ روعها.

واخيراً رفعت عينيها نحو وجهه متمعنة في قسماته. ثم نطقت بملاحظة غير ضرورية:

- انك قضيت على البطانية.

واومأ برأسه موافقاً. وابتسامة هازئة ترتسم على شفتيه.

انهى الموضوع بالتقاط البساط الذي كانت براندي قد اسقطته على الأرض، وقام بطيّه على نحو حاذق ماهر. وبينما كان يتوجه نحو الحصان لإكمال عملية الحزم فكّت براندي حزامها وسحبته من عرى بنطالها. ارادت ان تعبّر له عن عرفانها بالجميل لكن الكلمات خانتها. وأحست في نفس الوقت انه ادرك ما يجول في فكرها.

ربطت الحزام حول البطانية - المعطف، وكان جيم ينهي آنذاك إطفاء آخر ما تبقى من الجمرات. وبعد تأكده من استعدادها للرحيل امتطى صهوة الجواد واخرج جزمته من الركاب ليتيح لبراندي استخدامها، ممسكاً بذراعها ليساعدها على الركوب خلفه. وبينما كانت تركز نفسها على ظهر الحصان قال لها:

- لدي فكرة عامة عن المنطقة التي يقع فيها منزلك. اعتقد اننا سنلتقي بفريق بحث عنك قبل ان نبلغه.

وافقت براندي على ملاحظته في حين راح جيم يلكز جنبي الحصان. وانطلق الجواد بخفة في اتجاه شمال الشرق.

كان الرماد الذي خلفته النيران مكسواً بطبقة من الرمل، حيث لم يبق من دليل يشير الى وجودهما هناك سوى آثار اقدامهما. غير ان الصحراء ستتكفل بمحو هذه الآثار خلال فترة قصيرة. وعلت وجه براندي مسحة من الحزن دون ان تدرك سبباً لذلك.

مضى بهما الحصان فوق الارض الرملية متجنبا بحذاقة شجيرات الصبار والأشواك. واذا بصمت الصباح الآمن يجعل اي حديث غير وارد. وبدت المناظر المترامية غير مألوفة لبراندي مع ان الملامح الرئيسية لهذه البقاع لا تختلف كثيراً عن بعضها البعض.

وما عتم الدفء ان سرى في عروقها وهي تلتف بهذا المعطف الطويل، فأحست بالغبطة تغمرها وتجدّد معنوياتها. وشكّل نسيم الصباح العليل الوقت الملائم لحيوانات الصحراء البرية لتبحث عن

شيء تقتاته. ولشدة سرعة هذه المخلوقات في الظهور والاختفاء كانت محاولة رؤية أحدها نوعاً من التحدي.

وما كادا يقطعان نحو ميلين حتى أحست براندي بتغيّر في مشية الحصان. فبدا وكأنه يقاوم لجامه، او كأن حجراً قد استقر في حدوته. انحنت برأسها الى الاسفل متمعنة في خطواته بعض الوقت فلم تلحظ شيئاً غير اعتيادي.

ثم ألقت نظرة فوق كتف جيم فاذا بأذني الحصان تنتصبان توقعاً، ورأسه يزداد ارتفاعاً نحو الاعلى اذ يهزه بين الفينة والاخرى وهو يقضم بعض العلف. وظلت طريقة عدوه متثاقلة مجهدة.

أحنت براندي رأسها الى الامام فلمحت وجه جيم المكفهر. ولم تلبث ان سألته:

- ما بال حصانك؟ هل قرر فجأة رفض امتطائنا له سوية؟

وجاء جواب جيم السريع:

- كلا!

ومع ذلك... لا بد انه اتفق في الرأي مع براندي اذ أوقف الحصان على الفور. بقي الجواد الأهيف يثب باضطراب في مكانه، وتزداد رقبته شموخاً. قطبت براندي حاجبيها وراحت تطرح الاسئلة مجدداً.

تمتم جيم بصوت جمد كل اسئلتها.

وهنا، وبحركة خفيفة من العنان استدار الحصان على اعقابه واخذ يركض في اتجاه معاكس تماماً لطريقهما السابق. واضطرت براندي للتشبث بخصر جيم لتلافي السقوط عن ظهر الحصان.

ومن الواضح اذن انهما يفرّان من شيء او أحد ما. لم تتمكن براندي من التأكد. لكنها حدست انه أحد الاشخاص. فاما ان يكون طليعة فرقة البحث عنها او احد ممثلي السلطات القانونية جاء ليتحقق من سرقة الماشية.

وما كادت براندي تكيّف نفسها مع وقع الخبب حتى توقف

الحصان قرب صخرة نائية.

- يا للعنة...

وخاطبها جيم قائلاً:

- ترجلي.

وكاد ان يدفعها دفعاً عن ظهر الحصان قبل ان تتمكن من اطاعة أوامره. وهرولت بسرعة مبتعدة عن الحوافر الدائبة الحركة، متوقعة ان يمضي الحصان وصاحبه في طريقهما مخلّفين اياها وراءهما. وراقبت جيم بدهشة كبيرة وهو يمسك أعنة الحصان بيد ويرفع السرج عنه باليد الأخرى. القى بالسراج واللبادة ارضاً وتوجه نحو مقدمة الحصان.

سألت براندي وهي تعبث بشعرها الذهبي مضطربة:

- ماذا جرى؟

وجاءها الجواب الحاسم:

- انها عاصفة رملية.

حدقت براندي الى الجهة الشمالية فأدركت ان ذلك السديم الأسود الذي يغطي الافق ليس سلسلة جبال بعيدة بل عاصفة رملية هائجة، فانتابها ذعر شديد.

سبق لها ان شهدت غضب هذه العواصف الجنوني، لكن ذلك كان وراء جدران قوية واقية، هذه هي المرة الاولى التي تجد نفسها معرضة لخطر العاصفة بدون حماية. وحوّلت نظرها برعب شديد نحو الرجل الطويل ذي المنكبين العريضين وهو يصارع الحصان الذي يثب على قائمتيه الخلفيتين مذعوراً. ورأت انه يجاهد لفكّ اللجام عنه.

حبست براندي انفاسها:

- هل تنوي اطلاق عنانه؟

وانفك رباط الفك الجلدي في تلك اللحظة بالذات فبدأ الحصان يخرج رأسه من اللجام. ها هو الآن حر لا يقيّده شيء. وانطلق

كالسهم يعدو عبر الصحراء.

أشار جيم وهو يجمع السرج واللبادة:

- انه حصان ولد وتربى في الصحراء. فهو حتماً يعرف كيف يحافظ على نفسه هنا اكثر منا. هيا بنا الى الصخور.

ولم ينتظر جيم طويلاً بل قادها بنفسه نحو الصخور النائتة. ودفع اليها بلبادة السرج بعد ان تبين النتوءات الحادة. وأسرعت براندي تحشو اللبادة في فجوة بينما اخذ جيم ينفض البساط. وبنظرات قلقة حدقت في اتجاه العاصفة الزاحفة ثم استدارت نحو جيم لتبلغه انها جاهزة. فعمد الى لفها بالبساط وجلست وإياه مستندين الى الصخرة الكبيرة.

طوقها بذراعيه وشدها الى صدره حيث لفّ نفسه هو الآخر بجزء من البساط مغطياً رأسيهما تحسّباً لما سيأتي.

ولم تكن براندي تفكر الا بتلك العاصفة الزاحفة نحوهما.

وانقضت العاصفة فجأة كالبرق الخاطف. وبدا كأن تيار الريح يحاول جذبها بعيداً عن الصخرة، فلفّت براندي ذراعها حول خصر جيم بحركة لا شعورية.

اخذ الغبار يتسرب بحبيباته الدقيقة الى انفها وحنجرتها فكادت تختنق. واذا بالرمل المتطاير يهجم عليهما من كل حدب وصوب، قاذفاً بإبره المسننة اللاسعة في وجهيهما. وادركت براندي ان جيم يتلقى معظم هذه العقوبة الصارمة.

كان هدير العاصفة مضنياً. حتى ان الهواء بدا خانقاً لا يطاق، فتمنت لو تمزق الغطاء لتنشق بعض الهواء المنعش، مع معرفتها ان العاصفة الغضوب لن تتيح لها ذلك.

وتمتمت بصوت متأوه مختنق، دافعة رأسها في صدر جيم:

- لا... لا استطيع التنفس.

حاول جيم ان يهدىء من روعها هامساً في أذنها:

- اصمدي قليلاً.. اننا سنتغلب على هذه العاصفة!

صمتت براندي. واكتفت بالاصغاء الى خفقات قلبه المتسارعة. وخالت الدقائق ساعات والعاصفة تزداد شراسة مولولة في دوائر الرمال الجامحة. وتضافرت موجة الضجيج مع الحر والغبار الخانق لتتحول الى كابوس رهيب.

أعلن جيم واصابعه تنزلق بنعومة فوق شعرها الأشعث:

- براندي يمكنك ان تتنفسي الآن. انتهى كل شيء.

وعندما رفضت التحرك نهض مبتعداً عنها. واذا بالطمأنينة تغمرها وهي تفتح عينيها على أشعة الشمس الساطعة. كان البساط مرمياً فوق الرمل مغطى بطبقة كثيفة من الغبار. تنهدت براندي وهي لا تكاد تصدق انها عبرت هذه المحنة بسلام. وظلت ذرات من الغبار الدقيق تتراقص في الهواء. ولكن العاصفة هدأت واضمحلت. وردّدت براندي:

- اكاد لا اصدق.. اكاد لا اصدق!

فسألها جيم بسخريته المعتادة:

- ماذا تقولين؟

وابتسمت براندي وهي تجول بعينيها في زرقة الفضاء.

- حسبت ان العاصفة ستستمر.

واستدارت نحوه فاذا بعينيه تزدادان بريقاً ومدّ اصبعه ينظف انفها من الغبار. ثم عرج على وجنتها قائلاً:

- ان بشرتك تشبه ورق الزجاج الآن.

أجابته بقهقهة هازئة:

- لو ترى شاربيك من الغبار؟

ابتسم بهدوء ثم نهض على قدميه. ومدّ يده ليساعدها على النهوض فقبلت مساعدته بدون تردّد.

قالت بصوت هازىء وجاد في آن معاً:

- هل تدرك انني لم اشكرك على كل ما فعلته؟ ليلة البارحة والآن؟

فاقترب منها جيم مجيباً.

- سأطالب بمكافأة مقابل انقاذي لك، أليس كذلك؟

كانت براندي في حالة من الارهاق النفسي. وبعد مرور اربع وعشرين ساعة لم تعد تشعر بالاحراج امام هذا الرجل الغريب. واذ بها تجد جيم يتقدم منها ويعانقها. فلم تبد اي اعتراض. بل وجدتها فرصة لتجديد مشاعرها والاحتفاظ بكامل وعيها. مع ذلك جاء عناقه لها في لحظة لم تقدّر عواقبها البعيدة بالرغم من الشعور الخاطف الذي سرى في شرايينها وكأنه ألسنة من النيران الدافئة. ثم قبّلها على رأسها. فرفعت عينيها تتمعن في وجهه الذي اخذ يبتعد عنها خطوات قليلة. وقال لها بكلمات مدروسة:

- كان من الافضل لو لم افعل كل هذا.

وأدار جيم ظهره اليها وهو ينحني لالتقاط لبادة السرج مردّداً:

- دعينا ننسى كل ما جرى.

فأجابته:

- لماذا؟

حمل البساط ومدّه فوق السرج معلناً:

- لا اريدك ان تكوّني فكرة خاطئة عني فتسيئي فهمي.

لم تجد كلامه مقنعاً بل زادها جوابه ارتباكاً.

واحس جيم بما يدور في خاطرها فسارع الى تطمينها:

- انك لا تزالين في أول العمر وجذابة للغاية.

وكادت تتمزق غيظاً وهي تسمعه يخاطبها بهذه اللهجة فردّت بقساوة:

- انك تراني في اول عمري نظراً لتقدّم عمرك.

ثم لم تلبث ان ندمت لتفوهها بهذه الكلمات، فاعتذرت منه وهي لا تزال تفكر في طرافة تعليقها على عمره. وسمعته يقول لها:

- انا احترمك يا براندي ولا أتمنى لك الا الخير. خاصة بعد ان عرفتك عن كثب.

تنهدت براندي وهي تدرك تفاهة هذا الحوار من أساسه:

- ما الذي تعنيه بالضبط يا جيم؟

راح يتمعن فيها لبضع هنيهات قبل ان يجيبها بصبر:

- ثمة اشياء كثيرة لا تعرفينها عني. وانا اعرفها يا براندي.

كانت أجوبته غامضة مخيبة لآمالها. فابتعدت عنه وهي تلوح بيدها في الهواء:

- هل انت متزوج ولديك ثلاثة اطفال صغار؟ ام ماذا؟

أعلن بصوت مليء بالسخرية:

- لا، لستُ متزوجاً. هيا بنا يا براندي ما زال علينا قطع مسافة طويلة.

ولدقائق قليلة نسيت براندي محنتها الشخصية. اخذت تفكر في اهلها الذين ينتظرونها بقلق بالغ بينما كانت تجادل سارق الماشية وهو يحاول ضرب ستار من الغموض حول نفسه.

تقدمت لتسير بجانبه فلاحظت ان السرج وبقية الاغراض لا تزال ملقاة على الارض. فسألته بوجه عابس:

- هل تنوي التخلي عن كل هذه الاشياء؟

قال بعفوية:

- سوف آخذها في وقت لاحق.

وشرعا بالمسير وهو يتقدمها بضع خطوات مع انه كان يتمهل قليلاً ليمكنها من اللحاق به. وشعرت وهي تجول بنظراتها في امتداد الصحراء المرقطة بالشجيرات ونباتات الصبار انها وسط عالم لا حدود له يترامى نحو الافق البعيد ولا ينتهي هناك. ووجدت نفسها تقول له:

- كيف ستجد حصانك هنا؟

أجابها:

- من المحتمل انه سيتوجه نحو حظيرة الماشية ليشرب بعض الماء ما دامت العاصفة هدأت الآن.

حظيرة الماشية... بدأت براندي تشكّ في نواياه مجدداً. انه

يحتفظ بالماشية المسروقة في تلك الحظيرة حتى يأتي شركاؤه لشحنها من هناك. وربما كانت قرب مكان خيمته. لكنها عندما امعنت التفكير تذكرت انها لم تسمع اصوات ماشية عندما صادفته للمرة الاولى. لم تسمع آنذاك سوى حمحمة الحصان.

توقفت عن التفكير في هذه المسألة وراحت تدرس قسمات وجهه. وانتابها الفضول وهي تحاول سبر معاني أجوبته الغامضة. لم تصل الى نتيجة. ثم عجبت من رجل يمكنه ان يعمل اي شيء يريد، ويتحول الى سارق ماشية. يا للعار!

وبتردد طرحت عليه سؤالها:

- جيم؟ هل تحترف سرقة الماشية؟ أعني الم تفكر في عمل شيء آخر؟

اجابها بنظرة مطمئنة:

- كنت اتوقع سؤالا كهذا.

قالت محتجة وقد تحاشى سؤالها بجواب غامض مرة اخرى:

- ماذا؟

وبرقت عيناه وهو يطلق قهقهة خفيفة:

- كنت اتحدث عن غريزة الانثى في اصلاح الرجل. ان غريزتك ظهرت في نهاية المطاف. هل كنت تنوين إلقاء محاضرة حول فداحة طرقي المعوجة؟

قالت باسلوب دفاعي:

- انه مجرد سؤال فضولي ليس أكثر!

وانتظرت ان يبادرها بجواب ولكن دون جدوى. فاستسلمت للأمر الواقع غير مكترثة بسؤاله مرة ثانية.

٣ - المفاجأة

اجتازا نحو مسافة ميلين فوق درب متلوّ وسط الصحراء المكسوة بنباتات الصبار والمريمية. وكانت الشمس تنشر أشعتها الدافئة مبدّدة كل ما تبقّى من برودة الليل.

وهكذا خلع جيم سترته في حين ازاحت براندي حزامها وتركت المعطف يتدلى فوق كتفيها عاقدة وسطه في عرى بنطالها.

توقفت براندي فوق هضبة صغيرة لالتقاط انفاسها. وكان شعرها الاشقر يتدلى فوق جبينها في حلقات صغيرة مجعدة نتيجة تصبب عرقها. ومدّ جيم يده نحوها ليساعدها على تسلق الهضبة، وعندما رآها تتجاهله أصرّ عليها قائلاً:

- يمكنك الاستراحة هنا.

هزت كتفيها بحركة لا مبالية وأمسكت بيده متسلقة الى رأس الهضبة.

جلست هناك متكئة على مرفقيها في ظل شجيرة مورقة.

وقالت وهي تبتسم مستخفة بنفسها:

- من السهل معرفة انني أجيد الاستلقاء اكثر من المشي.

فتح قنينة الماء، وناولها اياها:

- ان هذه الشمس الساطعة تستنزف طاقة اي انسان.

كان الماء في القنينة دافئاً بعض الشيء، غير ان السائل خفف من جفاف حلقها. شربت للمرة الثانية جرعة كبيرة ثم أعادت القنينة الى جيم. واخذت آذانها تطن طنيناً مزعجاً فردّت السبب الى الحر والانهاك. لكن الطنين ازداد قوة.

وصاحت بصوت واثق:

- جيم، اظن انني أسمع هدير هليكوبتر.

وضعت كفها فوق عينيها لتحجب وهج الشمس باحثة في الفضاء عن مصدر الصوت. لمعت اشعة الشمس على كتلة معدنية تحلّق على علو منخفض، فوقعت عيناها على الهليكوبتر. وهنا قال لها جيم بدون حاجة الى التفسير:

- انها تحمل فرقة بحث.

وبارتياح ظاهر اجابت:

- اعرف هذا!

وادركت انها خلال دقائق معدودة سترجع الى احضان أهلها المرحة. ولكن ماذا لو شاهدوا جيم؟ كانت براندي تدرك ان اعتقال جيم كسارق للماشية سيكون مؤلماً بالنسبة اليها، خاصة بعد كل الذي لاقاه من خدعات، انه مجرم. ومع ذلك فهي تكن له اعجاباً خفياً. وشعرت ان عليها مساعدته على الهرب بغض النظر عن خطأ هذا الموقف او صحته. نظرت اليه بقلق وهي تتفحص قسماته الحادثة:

- لم يتبينوا مكاننا حتى الآن. يمكنك الاختباء في كتلة نباتات المسكيت هناك. ولن يعرفوا حتى انك كنت هنا. جيم لو تختبيء الآن!

ابتسم ابتسامة مخادعة:

- انك لن تقومي بتسليمي؟

قالت وهي تلقي نظرة على الهليكوبتر المقتربة:

- لا استطيع ان افعل ذلك. انهم يقتربون. أسرع يا جيم قبل ان يروك.

ووجدت نفسها تقف الى جانبه. وهو يبتسم تلك الابتسامة الساخرة. كم كرهت هذه اللحظة التي ستقول فيها وداعاً.

همست بحذر:

- ارجوك ان تكون حريصاً.

تردد لحظة وقال بصوت حاد:

- انا لا انوي الذهاب يا براندي.

قالت وهي تزداد قلقاً:

- ولكن...

واخيراً أصبحت الهليوكوبتر على مقربة منها حيث يمكنها ان تتبين بوضوح الطيار والشخص الذي يجلس الى جانبه، ثم رأت الطيار يشير بيده نحوهما. إذن فات الاوان وافتضح امر جيم.

قالت وعيناها تترقرقان بالدموع:

- آه يا جيم! رأوك رأوك.

وتمتم بكلمات غامضة المعنى:

- انا آسف يا براندي. انا اسف كثيراً.

لكنها أصرت ووجهها يزداد اكفهراراً:

- انا آسفة. انا آسفة.

استقرت يده على كتفها ثم قال لها:

- ثمة بقعة ملائمة هناك ستحط فيها الهليكوبتر لتقلنا.

وسارا معاً نحو البقعة وجيم يحاول دفعها امامه وهي لا تكاد تصدق ما الذي يدور حولها.
سألته باستنكار:
- أتى تحاول الهرب؟ ما زال امامك متسع من الوقت.
بقي جيم صامتاً. لكنه واظب على دفعها في الاتجاه ذاته. فعادت الى تأنيبه:
- هل تريد ان يلقوا القبض عليك؟ هل هذا ما تريده؟ سيضعونك في السجن.
اقتربا من الهليوكوبتر فاضطرت للصياح وهي تلفظ كلمتها الاخيرة.
ظل جيم صامتاً حتى وصلا الى البقعة. وسحب يده عن كتفها فجأة بأسلوب غريب.
وبصوت حاسم وواضح قال:
- انا لست سارق ماشية يا براندي!
وبادرت الى الاحتجاج:
- ولكنك قلت...
فعاجل الى تصحيح كلماتها:
- لا. انت قلت ذلك.
بدا وكأنه شخص آخر تماماً. فحاولت تبيّن السبب الكامن وراء هذا التغير الفجائي. ثم هزّت برأسها معلنة جهلها المطلق.
استجمعت قواها مجدداً:
- من أنت؟ ما هو اسمك الحقيقي؟
اثارت طائرة الهليكوبتر غباراً كثيفاً وهي تحط على البقعة. فتحول انتباه براندي نحو هذه الآلة العجيبة حامية عينيها من حبات الرمل المتطايرة. بقي الطيار جالساً في جهاز القيادة في حين ترجل رفيقه وأخذ يعدو حانياً ظهره صوب براندي وجيم. وظهر بادي الارتياح مغتبطاً وهو يصيح مصافحاً جيم:

- كم انا سعيد برؤيتك معافى سليماً. شاهد ريمون حصانك يتجه نحو الزريبة قبل هبوب العاصفة بقليل.
وتابع محدقاً في براندي:
- لا بدّ انك بنت السيد ايمس.
هزت براندي رأسها شبه المخدر علامة الموافقة والريح تتلاعب باطراف المعطف. وجدت نفسها في دوامة من الحيرة. وراحت تفصل في ذهنها بين الحقائق والخيال. بدا على هذا الشخص انه يعرف جيم معرفة جيدة. وجيم هو اسمه الحقيقي لا ريب في ذلك. وادركت براندي ان كل الاهتمام كان منصباً على سلامة جيم وحده. وهو حتماً ليس سارق ماشية. بل هو شخص هام، ولكن من؟ ثم تذكرت ذلك الشعور الغريب الذي غمرها عندما رأته للمرة الاولى واعتقدت انه يبدو مألوفاً. وبعينين شبه مغلقتين نتيجة الغبار المتصاعد اخذت تتمعّن في وجهه. كانت قسماته غير واضحة بسبب لحيته وإطار القبعة العريض فلم تصل الى نتيجة حاسمة. وفجأة سمعته يقول:
- هل انت جاهزة؟
ولاحظت ان جيم يكرر كلمات الرجل الآخر فحدقت فيه بدون جواب محاولة كشف هويته ولكنه لم يمهلها:
- آنسة ايمس هل انت جاهزة للرحيل؟
آنسة ايمس! هزّها هذا التعبير قاطعاً عليها سلسلة افكارها. خرجت كلمة آنسة بأسلوب مفعم بالاحترام والتهذيب لا أثر فيه للسخرية مما ضاعف من دهشتها. ترى لماذا لا يناديها براندي الآن؟ واخيراً اومأت برأسها معلنة موافقتها.
امسك الرجل الآخر بذراعها وقادها الى طائرة الهليكوبتر حيث اجلسها في المقعد الخلفي مشيراً عليها باستعمال حزام الأمان. واشاحت براندي بنظرها عندما تسلق جيم الى مقعده المحاذي لمقعدها وهي تشعر انه خدعها الى درجة لا تطاق. ثم رأت الرجل

الأخر يصعد إلى جانب الطيار فنفذت تعليماته بصدد حزام الامان.
وصاح الرجل بأعلى صوته مخاطباً الطيار وضجيج المحرّك يصم الأذان:

ـ هل اتصلت لاسلكياً بآمر الشرطة لابلاغه اننا وجدنا بنت ايمس مع كوربت؟

هزّ الطيار رأسه بالايجاب. وبدأت الهليكوبتر تحلّق رويداً في الفضاء.

كوربت! وقع عليها الاسم وقع الصاعقة. ولمعت في ذهنها صورة رجل أسود الشعر والعينين بارز الوجنتين والفك، ذي ذقن صلب مثلوم باتقان وصاحب ابتسامة ساخرة تحوم على شفتيه باستمرار. ولم تجد صعوبة في رسم بقية الصورة خاصة بريق العينين الجامح او الهازىء... او الهادىء الى حدّ الجمود القاتل. ان لحيته هي التي ساهمت في حجب هويته عنها. وكيف كان بمقدورها كشف هويته في تلك الظروف وسط الصحراء؟ وهل يخطر في بال أحد ان ذلك الرجل الأشعث المشرد كراعي بقر في هذه الربوع القاحلة ليس الاّ جيمس كوربت الممثل الشهير؟

سرت الصدمة في شرايينها وهي تقنع نفسها بهوية جيم. لا بد انه سخر منها كثيراً! ولا شك انه أغمي عليه من الضحك عندما ظنت انه سارق ماشية. وتستطيع ان تتصور منذ الآن مدى اغتباطه وهو يروي القصة لزملائه الممثلين. كم كانت فائقة الغباء!

واشتعلت وجنتاها خجلاً وهي تشعر باحراج شديد. عضّت بأسنانها على شفتها السفلى محاولة حبس آهة الكبرياء الجريح. وحدقت في الرجل الجالس بجوارها وعيناها تشتعلان غيظاً. نظر اليها نظرة باردة وراح كل منهما يتلهى بمنظر نباتات الصحراء في الاسفل.

بعد قليل مدّت براندي رأسها الى الامام محدقة في الطيار. لا ريب ان جيم ادرك الآن انها عرفت هويّته الحقيقية. وانتهت لعبته

المسلّية فلم يعد في حاجة اليها. شعرت في اعماقها انها لا تزال تفكر به كجيم مما دفعها الى التصميم على انهاء هذه المهزلة والشروع باعتباره جيمس كوربت... الممثل الذائع الصيت.

ثبت الطيار سماعتي الأذان بإحكام ثم اومأ الى زميله ليلتقط السماعتين المعلّقتين على لوحة جهاز القيادة. تمتم زميل الطيار بعض الكلمات في الميكروفون ثم اصغى هنيهة، واستدار اخيرا نحو جيم وصاح:

ـ يوجد مراسلون صحفيون في بيت ايمس. علموا ان فريق بحث يفتش عنك انت ايضاً. هل تريد ان تهبط في منطقة سوارو عوض ذلك؟

ولاحظت براندي مدى انزعاج جيم واستيائه. انها لا تريد سوى العودة الى المنزل ووضع حد لهذا الكابوس الرهيب. وها هي الآن تجد نفسها في مأزق جديد دبّره لها مراسلو الصحف. وهنا أعلن جيم:

ـ سنذهب الى منزل ايمس.

هز زميل الطيار كتفيه كأنه يقول ان جيم هو الآمر الناهي. ونقل التعليمات الى الطيار. وما هي الا دقائق حتى لمحت براندي منزلها الجميل. كانت الطريق تعج بالسيارات والشاحنات وقاطرات الخيل تمتد حول الاسطبل. واخذت جموع الناس تتحرك صوب الهليكوبتر التي بدأت بالهبوط فوق طريق الحصى الممتدة امام منزلها. واستطاعت براندي تبين ملامح والديها القلقة وسط جمهرة الناس وقبل ان يحجب رؤيتها الغبار المتصاعد من دوران مراوح الهليكوبتر. وبعد ان استقرت تماماً اومأ جيم للطيار بايقاف المحرك. فكّت براندي حزام الامان وشرعت بالترجل بلهفة وارتباك. كان جيم ينتظرها في الخارج غير انها تجاهلت يده التي امتدت لمساعدتها وقفزت الى الارض وحدها. وفوجئت بصدره العريض يسدّ طريقها نحو الجمهور فلم يسعها الا التحديق في وجهه. إنها الآن اشد حذراً

منه واكثر استياء من اي وقت مضى. وخرجت الكلمات من فمها باردة واثقةوهي ترفض سماع تبريراته:

- هلا سمحت لي بالمرور يا سيد كوربت؟ ان أهلي في انتظاري.

ثم تقدمت مسرعة للقاء وجهي والديها يفيضان ارتياحاً وغبطة. وارتسمت على ثغرها ابتسامة مصطنعة متوترة وهي تحاول قراءة ما يدور في بال والديها حول عودة ابنتها برفقة ممثل شهير.

بدت والدتها لينورا هادئة فرحة وفائقة الجمال في ثوبها الجديد وشعرها الأشقر الذي تتخلله الوان رمادية مما يمنحها مظهراً يدل على ثقافتها. وهكذا اندفعت براندي دون وعي نحو ذراعي والدتها. حضنت لينورا ايمس وجه ابنتها بين راحتيها وهي تشعر بطمأنينة عميقة. لكنها سرعان ما قالت:

- لقد ادخلت الرعب في قلوبنا يا عزيزتي. ان منظرك يثير الشفقة.

وأدركت براندي ان منظرها يثير الشفقة حتماً وهي ترتدي ذلك المعطف المكسو بالغبار. وتنتشر حبيبات الرمل في شعرها وثيابها وفوق بشرتها. فقالت موافقة قبل ان تواجه والدها ذا القامة الضخمة:

- انني في حالة يرثى لها.

وما كادت تتقدم خطوة حتى كان والدها يضمها بحنان أبوي حميم. كان وجهه الذي لوحته الشمس يضفي عليه نضارة الشباب مع ان شعره الداكن الأجعد يخالطه الشيب.

وهمس ستيوارت ايمس في اذن ابنته الوحيدة:

- هل انت بخير؟

وما كان من براندي الا ان ازدادت التصاقاً به قائلة:

- انا بخير يا والدي.

ثم فتحت عينيها لترى المراسلين يتحلقون حول جيمس كوربت والكاميرات تلتقط الصور. ولم يفتها ان لقاءها مجدداً مع والديها

حظي ايضاً باهتمام عدد هائل من المصورين.

وما كاد والدها ينتهي من عناقه لها حتى وجدت نفسها محاطة بثلاثة من المراسلين يوجهون اليها السؤال تلو الآخر:

- كيف تشعرين يا آنسة ايمس؟

وهزت برأسها:

- انني في حالة ممتازة.

- هل تشعرين بالارتياح بعد العودة الى منزلك؟

- طبعاً.

- ما هو شعورك حول قضاء الليل في الصحراء؟

جاءت الأسئلة كوابل لا ينقطع حتى وجدت براندي نفسها تفقد التركيز على سؤال قبل ان يواجهها سؤال آخر. ولم تلحظ اقتراب جيم منها وهي في هذه الحالة المربكة. ظهر فجأة يقدم نفسه بتهذيب بالغ الى والديها. وأتت ردة فعل أهلها لتبعث الفخر في نفسها. عاملاه باحترام بدون ان تكتنفهما الرهبة. وعلّق والدها:

- سمعنا انك كنت ضحية العاصفة الرملية.

وقاطع أحد المراسلين:

- آنسة ايمس ماذا فعلت عندما هبت العاصفة الرملية؟

سادت لحظة من الصمت مما اتاح لبراندي الاجابة. فقالت بعد ان كادت تلفظ اسمه الأول:

- في الواقع جي... السيد كوربت أحس باقتراب العاصفة فتمكنا من الاحتماء ببعض الصخور الى ان هدأت.

واستفسر مراسل ثانٍ:

- هل تعنين انك والسيد كوربت كنتما معاً عندما هبّت العاصفة؟

وتلعثمت براندي مدركة بعد فوات الاوان ان لا احد يعلم عن وجودها مع جيم قبل عملية الانقاذ. واذا بعينيها تطلبان الاستغاثة العاجلة من جيم. انه وحده قادر على اخراجها من هذا المأزق الآن.

وأعلن جيم بهدوء للمراسلين الذين ازدادوا فضولاً:

- التقيت بالآنسة ايمس ليلة البارحة. كانت ضلت سبيلها في الظلام فلمحت ضوء النيران التي اوقدتها قرب خيمتي وعرجت طالبة المساعدة.

جعل كلامه كل شيء مسألة طبيعية عادية جدا لا تحتاج الى تعليق او استفسار. لكنه لم يلبث ان تلقى السؤال التالي:

- ثم قضيتما الليل سوية في الصحراء، اليس كذلك؟

ابتسم جيم كوربت هادىء الاعصاب:

- اعتقد انه يمكنك قول ذلك. نعم.

وجاء دور براندي.

- وما هو سبب هذه الخدوش على ذراعك آنسة ايمس؟

كانت براندي غافلة كلياً عن الخدوش فكادت ان تصاب بالدهشة لرؤيتها مرة اخرى. تمنت لو فطنت الى تغطيتها بأطراف المعطف.

واخيراً اجابت:

- تعثرت فوق اشواك نباتات المريمية والمسكيت.

وقهقه أحد المراسلين بخبث:

- هل كنت تركضين خوفاً من شيء ما؟

استشاطت براندي غيظاً وهي تتذكر هربها الجنوني الى الصحراء عندما رأت السكين في يد جيم.

وهنا تدخل جيم:

- هل تريد بسؤالك الايحاء انني كنت أطارد الآنسة ايمس حول نيران الخيمة؟ انها استخدمت تعبيرا مجازيا عندما قالت انها تعثرت فوق الاشواك.

ووافقت بسرعة:

- هذا صحيح.

ارتفع صوت مراسل آخر يسأل:

- لماذا لا تعطينا صورة لمعنى الضياع في الصحراء مع جيمس

كوربت؟

انتظرت متوقعة من جيم كشف عدم معرفتها لهويته الحقيقية آنذاك. لكنه لم ينبس ببنت شفة تاركاً لها ان تتجنب السؤال قدر الامكان. قالت بتردد:

- بصراحة ما كدت أرى النار حتى شعرت بعرفان الجميل لوجود انسان هناك بغض النظر عن هويته.

ألحّ عليها المراسل:

- ولكن بعد ذلك؟

تلعثمت براندي ثانية:

- بعد ذلك...

فأكمل جيم الجملة:

- تناولت قليلاً من لحم الأرنب الذي طهيته. عقّمت خدوشها وما لبثت ان استسلمت للنوم قرب النار. إنها قصة لا تصلح لسناريو فيلم سينمائي كما تلاحظون.

لا ليس وفق روايته لها،

فكرت براندي،

بينما أخذ الآخرون يقهقهون بافتعال. انه تعمّد حذف الأجزاء المسيئة مثل اعتبارها إياها سارق ماشية، وان الخدوش لا تقتصر على ذراعيها. وحمدت الله انه لم يشر الى كل ذلك اذ كيف كانت ستحتمل كل الاقاويل والاشاعات بعد نشر هذه المسائل في الصحف.

ولم تتوقف الاسئلة:

- ان السيد كوربت ذائع الصيت في علاقاته النسائية. ألم يساورك القلق وانت معه وحيدة طوال الليل يا آنسة ايمس؟

وأجابت براندي بدون تردد:

- لم يكن هذا الامر وارداً بالنسبة الي. لم يشغلني صيته ابداً.

كان الجواب صادقاً لأنها لم تكن تعرف من هو. وهي حتى هذه اللحظة لا تعرف عن شخصه شيئاً. ولكن ليس غريبا ان يحظى

باهتمام النساء وهو واضح الرجولة وذو شهرة واسعة. أحست بالانقباض وهي تفكر في هذه الامور، خاصة وانه عانقها ولم تعترض اعتراضاً شديداً.

لا شك انها تصرفت بسذاجة صاعقة وسمحت له ان يعاملها كطفلة صغيرة. وقطع شريط افكارها أحد المراسلين:

ـ كانت مغامرة طريفة ان تضلي سبيلك ثم ينقذك جيمس كوربت، أليس كذلك؟

انهالت الكلمات فظة مخزية. ونظرت الى جيم محاولة تصحيح عبارة المراسل فاصطدمت به يرمقها ببريق عينيه السوداوين وكأنه يسخر منها مجدداً. وقالت مدركة انها تدلي برأي غير صادق:

ـ نعم، كانت مغامرة طريفة.

وقبل ان يطرح مراسل آخر سؤالاً اكثر احراجاً اندفع زميل الطيار نحو المراسلين وهو يخاطبهم بحزم:

ـ اعتقد انكم طرحتم ما يكفي من الاسئلة. انا واثق أن الآنسة ايمس منهكة وجائعة وعطشى، وفي حاجة الى ساعات قليلة من الراحة في هدوء منزلها بعد كل الذي عانته. واعرف ان السيد كوربت يريد الاسترخاء قبل ان نبدأ تصوير الفيلم غداً صباحاً. حصلتم على كل المعلومات فلينصرف كل منّا الى عمله.

انصرف المراسلون بعد ان ابدوا تذمراً لطيفاً. وادركت براندي انه لا يمكنها دخول منزلها قبل ان تودع جيم بطريقة او بأخرى. استمدت بعض الشجاعة من والديها اللذين وقفا الى جانبها طوال استجوابها من قبل المراسلين. رفعت نظرها نحو جيم قائلة بأعصاب مشدودة:

ـ وداعاً يا سيد كوربت. انني اقدر عونك ومساعدتك.

عض على شفتيه كأنه يبدي غيظه. واعتقدت انها لم تستعمل العبارات التي تليق به وتظهر مدى اعجابها بشخصه. وما لبث ان مدّ يده بشدة ليصافحها فكادت ان تصفعها. وتمتم:

ـ سعدت كثيراً بالتعرّف عليك آنسة ايمس.

لم تصافحه بحرارة وهو يحاول ان يشدّ يدها لتتجاوب معه. ابتسمت براندي بفتور وهي تعلّق متبرمة:

ـ انا متأكدة انك وجدت المسألة كلّها مسلية.

ضغط بقبضته عندما حاولت سحب يدها عاقداً حاجبيه وكأنه لا يفهم موقفها البارد هذا. حوّل نظره في اتجاه المراسلين المتجمعين حول السيارات وقال:

ـ ستجدين نفسك مضطرة لشرح هذه الملاحظة لأولئك المراسلين.

اطلق تهديده بصوت منخفض لم يسمعه أحد سواها. وسحب يده منحنياً باحترام لوالديها. ثم توجّه نحو الهليكوبتر.

ظلت براندي تراقبه لبضع ثوان وهو يخطو بعيداً عنها. ربتت والدتها على كتفها تدعوها صوب المنزل. وهنا قال والدها:

ـ ادخلا، فأنا سابقى هنا بعض الوقت. أريد ان أقدّم شكري وامتناني لكل من قدم مساعدته لنا.

وما ان اصبحت براندي داخل المنزل حتى أحسّت بالارهاق الشديد. كانت قدماها تؤلمانها من جراء تلك الرحلة الطويلة عبر الصحراء وعظامها تئن وجعاً من رقادها فوق الارض الصلبة.

قالت أمها وعيناها تشعان ارتياحاً لعودتها سائلة:

ـ لا بدّ انك جائعة. ساعدّ لك بعض الحساء والسندويشات.

وتابعت ضاحكة:

ـ من الافضل ان اعد طعاماً لنا جميعاً فأنا ووالدك لم نتناول حتى وجبة الافطار.

كنت قد سكبت عصير البرتقال عندما اكتشفت انك لست في غرفتك.

أكدت كلمات والدتها كل ظنونها. كادت ان تتمنى لو اكتشفوا كل ذلك ليلة امس اذ ربما كانوا عثروا عليها قبل بلوغها خيمة جيم.

ثم أجابت:
ـ لم اكن احسب انكم ستفتقدونني قبل الصباح في اي حال.
كانت تدرك ان والديها سيطالبان بتفسير اكثر وضوحا وتفصيلاً حول حقيقة ما جرى مما اعلنته للمراسلين بحذر واتقان. وهي لا تشعر انها قادرة على كل ذلك الآن. فقالت مغيرة الموضوع في الوقت المناسب:
ـ كل ما أتمنّاه الآن هو استحمام حار وطويل. لماذا لا تشرعين بإعداد الطعام وسألتحق بك فور خروجي من الحمام.
دخلت براندي بعد مرور ساعة من الوقت الى المطبخ الفسيح ذي اللون المرجاني الأبيض فسال لعابها وهي تنشق رائحة الحساء الحار. كان شعرها يتدلى بخصلات مجعدة تتساقط منه قطرات الماء فوق قميصها الأزرق النظيف. استنشقت الحساء بلهفة وهي تشعر باستعادة حيويتها. . . مطلقة ابتسامة عريضة لوالديها.
قال والدها ممازحاً وهو يقدم لها كرسياً للجلوس:
ـ عجباً كيف كنت قبل الاستحمام تبدين كجرذ الصحراء.
اجابته:
ـ غرقت في دورة المياه.
واستعادوا شهيتهم جميعاً مع مرور هذه التجربة. ولم تبرز حاسة الفضول عند أهلها الا بعد ان انتهوا من الطعام.
وجدت براندي نفسها مضطرة لسرد كل ما جرى.
وعلّق ستيوارت متهكماً وابنته تحاول تبرير فشلها في التعرّف على جيمس كوربت:
ـ سارق ماشية. لا بدّ انك طعنت كبرياءه في الصميم.
فردّت براندي:
ـ لا تخف، فقد كال لي الصاع صاعين. لن اغفر له محاولته الايحاء الي انه سارق ماشية فعلاً. كان عليه ان يخبرني من هو بالضبط. عندما افكر كيف كان يسخر مني كل ذلك الوقت. . .

ولم تكمل بل اعلنت.
هذا هو الخزي بعينه.
قالت والدتها مهدئة من روعها:
ـ لا يمكنك انكار الجانب الطريف من هذه الحادثة. ربما شعر بالاحراج او عدم اللياقة لابلاغك من هو.
وكادت براندي ان تفقد اعصابها وهي تجيب:
ـ لا شيء يحرج هذا الرجل. من الافضل التحدث عن شيء آخر. لا اريد ذكر جيمس كوربت بعد الآن.
كانت كلماتها الاخيرة كشبح سيطاردها طويلاً مثلما ادركت في صباح اليوم التالي عندما وصلت الى حانوت الحرف والفنون الذي تعمل فيه. ما كادت تخطو داخل الباب الخلفي حتى بادرتها صديقتها بجريدة الصباح. وسألتها كارن جاستن بصوت يطفح حبوراً:
ـ براندي هل هذا صحيح؟ هل عثر عليك جيمس كوربت حقاً هائمة في الصحراء ضائعة ومرتعدة الفرائص؟ جيمس كوربت، الممثل السينمائي.
واصلت براندي تقدّمها لتعلّق سترتها في الغرفة الخلفية، مقاومة تيارات الاحباط التي غمرتها. ثم ردّت على كارن بصوت واثق:
ـ في واقع الامر. . . انا التي وجدته. هل القهوة جاهزة؟
وكانت العادة ان الذي يصل الى الحانوت أولاً يغلي ابريق القهوة وذلك لارتشافها قبل فتح الابواب. لم تعبأ كارن بسؤال براندي بل أصرّت على حديثها الاصلي:
ـ عليك اخباري كل ما جرى.
كانت براندي تتمزق غيظاً وهي تملأ كوبها بالقهوة الحارة. وقررت ان تضع حداً لفضول صديقتها:
ـ القصة بأكملها في الصحف. يمكنك ان تقرأيها بنفسك.
لمعت عينا كارن العسليتان ببريق غريب:
ـ اراهنك ان القصة كلها ليست في الصحف.

وتابعت متملقة:

- يمكنك ان تخبريني كل شيء. سأحفظ السر. أعدك.

ولم تجد براندي مخرجا الا باعطاء كارن بعض التفاصيل وباختصار شديد:

- كنت اتنزه على حصاني في الصحراء وفجأة انطلق هارباً. شرعت بالمشي نحو البيت فضعت في الظلام. ثم عثرت على خيمته. صرفت الليل هناك. بدأت بالعودة الى المنزل صباحا. هبّت عاصفة رملية، وقامت الهليكوبتر بانقاذنا بعد ذلك. هذا كل شيء!

اعترضت كارن على هذه المعلومات الضئيلة فطالبت بالمزيد:

- ولكن ماذا فكرت عندما ادركت انه كان جيمس كوربت؟

ابتسمت براندي بمرارة وهي تتذكر تلك اللحظة:

- اعترتني الصدمة.

وتابعت ترشف قهوتها متسائلة عن صاحبة الحانوت:

- اين السيدة فيليس؟

فجاء الجواب الغاضب المؤنب:

- ذهبت الى المصرف، وتوقفي عن تغيير الموضوع. اخبريني بماذا فكرت؟ هل حدثك عن الفيلم الذي يلعب فيه دور البطولة؟ الفيلم الذي يصورونه في تومسون القديمة؟

أجابت براندي بالنفي وهي تداعب اطراف فستانها المزركش بألوان زاهية.

فسألتها كارن بعد ان انتظرت جوابها بدون جدوى:

- ما هي الامور التي تحدثتما عنها؟

قطبت براندي حاجبيها قائلة:

- لا شيء محدّد!

غرقت كارن في التفكير وعلقت بحذاقة:

- انك تخفين عني شيئا. كنت معه وحيدة في الصحراء تجلسان حول النار والسماء تتلألأ بالنجوم. فلا بد انه حاول ان يفعل شيئاً،

أليس كذلك؟

أنكرت براندي كلامها بعنف:

- هذه سخافة!

لكن كارن رأت وجنتي صديقتها تتورّدان خجلاً، فشهقت قائلة:

- حاول ان يعانقك، آه يا براندي. جيمس كوربت عانقك!

لم تقص براندي هذا الحادث لأهلها، اذ انها كانت تحاول ان تنساه اكثر من أي شيء آخر. عادت تعلن استنكارها:

- لا، ليس كما تظنين. لم يحدث شيء. ان ما جرى كان يتسم بالبراءة التامة، حتى انني لم اكن اعرف من...

ولم تكمل جملتها.

- هذا كل شيء.

حدقت كارن مذهولة، وسألتها مستفسرة:

- لم تعرفي ماذا؟ لم تعرفي هويته؟

وتابعت بصوت غير مصدق:

- أهذا ما تقصدينه؟

وضعت براندي فنجان قهوتها على الطاولة الصغيرة بحركة عصبية متبرمة وقالت مؤكدة بامتعاض:

- نعم هذا ما قصدته.

استمرت كارن تكاد لا تصدق أذنيها:

- لم تعرفي جيمس كوربت؟ لست جادة بالطبع!

وانزلقت الجريدة من يديها الى حضنها وانفتحت على الصفحة التي طبعت عليها قصة انقاذ براندي وجيمس كوربت. فأشارت براندي الى الصورة التي التقطها المراسلون عند اجراء المقابلة:

- انظري الى صورته. من يمكنه التعرف عليه في تلك اللحية؟ علاوة على ذلك ان آخر ما تتوقعين الاجتماع به في عرض الصحراء هو نجم سينمائي لامع!

وطرحت كارن سؤالاً آخر:

- ما الذي كان يفعله هناك؟
هزت براندي كتفيها بتوتر:
- لست ادري. سمعته يقول للمراسلين انه كان يبحث عن بعض الهدوء والسكون.
عقدت كارن ذراعيها قائلة:
- كيف شعرت عندما عانقك جيمس كوربت يا براندي؟
احست براندي بوخز مؤلم يمزق شغاف قلبها. انها رغم كل شيء لا زالت تحمل ذكريات طيبة عن تلك الحادثة. وترددت في الافصاح عن مشاعرها الحقيقية حتى لأعز صديقاتها. ان لكل فتاة كبرياءها. وهكذا تدفقت الكلمات من فمها:
- بما انني لم اكن اعرف انه جيمس كوربت عندما عانقني، فلم اهتم بالأمر كثيراً. طبعاً لو ادركت ذلك لكنت تفقدت مدى سرعة خفقان قلبي او مدى ارتفاع حرارتي!
فوجئت كارن بلهجة صديقتها الهازئة، وهي التي تتميز بطبيعة هادئة عذبة. فتراجعت معترضة بنعومة:
- انك تعاملينني بقساوة لا مبرر لها.
وللتو اعتذرت براندي مطلقة آهة عميقة:
- لم اقصد ايذاء مشاعرك. انني احاول نسيان الحادثة كلها. خاصة انه لا بد ان يكون قد سخر من جهلي المطبق عندما لم اعرف هويته.
والقت نظرة على ساعتها متابعة:
- الساعة تقارب التاسعة. هل تركت السيدة فيليس مفتاح الباب الأمامي على مكتبها؟
هزت كارن رأسها بالايجاب، متعقبة براندي الى مكتب صاحبة الحانوت:
- هل تبغين رؤيته ثانية؟
جمدت براندي في مكانها مكفهرة الوجه:

- هل أبغي رؤيته ثانية؟ ماذا تعنين؟
فأوضحت كارن:
- هل دعاك للخروج معه؟
وقهقهت براندي بأسلوب غير مقنع:
- كلا طبعاً. انك تتأثرين بقصص الافلام السينمائية كثيراً يا كارن.
غير ان كارن أصرت على رأيها:
- لا تستخفي بالأفلام يا عزيزتي براندي. ان الحياة تحفل بأشياء أشد غرابة مما تشاهدينه على الشاشة!
أجابتها براندي جازمة:
- انه لم يطلب مني الخروج معه ومن المستبعد قيامه بذلك. حتى ولو فعل فلن اقبل دعوته.
كررت كارن عبارتها وهي لا تكاد تصدق اذنيها:
- لن تقبلي دعوته؟
فحاولت براندي شرح الموقف:
- سخر مني كثيرا حتى الآن. وهو نتيجة لخبرته وسمعته لا يعتبرني اكثر من فتاة ريفية. انه يفضل حتماً السيدات المتأنقات...
وقاطعتها كارن:
- ربما اراد تغيير عادته؟
فأطرقت براندي تحاول اقناع نفسها بما ستقوله:
- ليبحث عن سواي. لا ارغب في رؤيته مرة اخرى!

٤ - زيارة ودعوة . . .

توهجت اشعة الشمس على ضفائر براندي الشقراء وهي تقف امام شباكها تستنشق عبير الورود العطر. كانت باقة الورود في انتظارها عندما عادت الى المنزل من عملها في ذلك اليوم.

وكادت للوهلة الاولى ان ترمي بالباقة في سلة المهملات وقبل ان تقرأ البطاقة الجميلة التي تدلت منها. كانت ردة فعل صبيانية. غير ان براندي سئمت مطاردة الاصدقاء والغرباء يطالبونها بالخفايا الداخلية حول قضائها الليل في الصحراء مع جيمس كوربت.

كفت في نهاية المطاف عن الاعتراض عندما اعلنوا، وبصوت واحد انها كانت مغامرة شيقة. وتركتهم يطلقون العنان لخيالهم الجامح، اذ ذهبت كل جهودها لحملهم على تغيير آرائهم ادراج

الرياح.

قررت الاحتفاظ بهذه الازهار الجميلة، لا لسبب الا لأنها شعرت باحباط تام وعجز عن مواجهة وضعها الحالي وكل ما يخبئه لها المستقبل.

لم تعلن البطاقة اكثر من الاعتذار عن اي ازعاج تعرضت له، وموقعة ببساطة . . . جيم. رفضت الاعتراف ان قرارها للاحتفاظ بالورود يعود في جانب منه الى التوقيع الذي قرأته. ادركت في لا وعيها انها تقبل استلام باقة من جيم سارق الماشية، وليس من جيمس كوربت النجم السينمائي الجذاب.

خطت براندي خطوة الى الوراء قاضمة شفتها السفلى، وهي تلقي نظرة شاملة على اسلوب ترتيب الغرفة. وهزت برأسها معلنة رضاها عن النتيجة، اختارت اناء الزهور الزجاجي الذي توارثته عائلة والدتها لاجيال، اذ بدت زخارفه الصفراء شبه الشفافة المزينة ببراعم قرنفلية اطاراً بارعاً للورود الحمراء ذات الوميض الياقوتي.

حملت الاناء باتقان الى غرفة الجلوس المجاورة. وترددت قليلاً قبل ان تختار مكاناً ملائماً لعرضه، الى ان وقع اختيارها على زاوية قرب الحائط الابيض خلف صندوق آلة الستريو. كانت لا تزال تضع الاناء عندما انفتح الباب الامامي، ثم سمعت خطوات والدتها الخفيفة تتقدم صوبها. وما ان دخلت حتى صاحت بابتهاج:

- ما اجمل هذه الورود! من اين حصلت عليها؟

اجابت براندي متعمدة اللامبالاة:

- من السيد كوربت.

قالت والدتها مبدية اعجابها:

- انه صاحب ذوق رفيع.

ولم تمهلها براندي:

- لا اعتقد ذلك. انه لا يحاول اكثر من الحفاظ على سمعته.

تفرست لينورا ستيوارت في ملامح ابنتها معلنة:

- انها ملاحظة غير لائقة.

أجابتها براندي ببرودة:

- لا ليس صحيحاً. ان ارسال الورود مجرد بادرة مهذبة. انا متأكدة ان السيد كوربت أوصى سكرتيرته او مدير اعماله ليرسل الي بعض الزهور. انها زهور جميلة واقدّرها كثيراً. ولكنني لن اسمح لخيالي ان ينسج قصة خيالية من كل ذلك.

قالت ليتورا بجفاف:

- لم يخطر في بالي ذلك اطلاقاً.

ابتعدت براندي عن اناء الزهور وعيني والدتها الفضوليتين، وتوجهت صوب المطبخ قائلة:

- سأبدأ باعداد العشاء. اين والدي؟

وابلغتها والدتها انه في مرآب السيارة. ثم غيّرت مجرى الحديث وهي تسألها:

- براندي ما الذي جرى اليوم؟

استدارت براندي قليلا متوقفة عند مدخل المطبخ:

- لم يحدث اي شيء. ذهبت الى العمل وهذا كل ما في الامر.

فاوضحت أمها:

- أمطرنا المراسلون بالاسئلة حول الحادث في نهاية الاسبوع. ولا بد انك تعرضت للشيء نفسه. اعرف انك تعانين من بعض المرارة حول هذه التجربة واعتقدت...

وقاطعتها براندي موافقة:

- نعم انني اشعر بالمرارة. لا أحد يجب ان يكون هدفاً للسخرية. وتدركين انه وجد المسألة مدعاة للسخرية عندما لم اعرف من هو. وها هم الآن يثيرون اللغط حول هذه المسألة ويصفونها بالرومانطيقية وبقية النعوت العاطفية. اني أجد الامر كله مذلاً للغاية.

وتابعت والكبرياء ترسم على وجهها:

- والآن اذا سمحت سأذهب وأعد العشاء.

لم تعترض أمها، كما لم تحاول إحياء الحديث عن جيمس كوربت من جديد. وعندما دخل والدها اكتفى بالتعليق على جمال الورود، وبدون اي سؤال عن صاحب الهدية. قدّرت براندي ان والدتها قد اخبرته كل شيء.

تعمدت براندي في اليوم التالي تجنّب ذكر باقة الورود امام كارن. اذ انها تعرف تماما خيالها الخصب والقصص التي يمكن ان تنسجها، والمعاني الكامنة وراء هذه الهدية التي تستطيع استخلاصها وسبرها. خاصة اذا كان المرسل جيمس كوربت.

وما ان أطل يوم الخميس حتى كان اللغط الذي اثارته مغامرتها في الصحراء قد تقلص الى عدد من التعليقات والهمسات المتعزلة هنا وهناك. بدأ الهدوء يعود الى اعصابها المتعبة. لم تعد تحتاج الى الاحتياط والحذر كلما دخل الحانوت صديق او احد معارفها. وهكذا أقنعت نفسها ان القضية كلها سيطويها النسيان مع مرور الزمن. وفي مساء ذلك اليوم أحست براندي ان حياتها اخذت تعود الى حالتها الطبيعية، في حين كان والداها منهمكين في اعداد دروس اليوم التالي. اطلقت تنهيدة عميقة وسندت ظهرها بالوسادات الوثيرة المتناثرة فوق مقعد فخم، وراحت تداعبها الاحلام الوردية.

كانت حرارة الشمس تزداد انخفاضاً وهي تغطس وراء التلال الغريبة ذات القمم السحرية. وها هي تتمتع بألوان الشمس الغاربة بكل ما توقظه من مشاعر مؤثرة. ظلت جالسة هناك وهي تحلق على اجنحة الخيال وهذا المنظر الأخاذ الذي يسلب الالباب. وفجأة سمعت صوتاً يهتف من ورائها:

- لا افهم لماذا خرجت الى الصحراء وأمامك هنا هذا المنظر الرائع؟

استدارت نحو مصدر الصوت وهي لا تكاد تصدق عينيها. ها هو جيمس كوربت يقف امامها.

ليس عليها هذه المرة ان تخطىء هويته. كل ما بقي من جسم

القديم كان ذلك البريق في عينيه السوداوين واشاعته التوجس من خطر داهم. اختفت اللحية كاشفة الوجنة المقعرة والفك العريض والثلم الصغير في ذقنه، وتلك الابتسامة الساخرة المرتسمة فوق فمه. كان حاسر الرأس، انيق المظهر، يرتدي قميصاً حريرياً تتخلله ألوان زرقاء وصفراء وخضراء خفيفة، مطوي الأكمام تظهر مقدمة ذراعيه اللتين لوّحتهما أشعة الشمس. كان مظهره جذاباً للغاية لا يمكن لأحد ان يخطئه.

مع تضاؤل وقع الصدمة وهي تراه على هذا النحو، استطاعت براندي ان تتمتم بعض الكلمات:

- كيف... كيف أتيت الى هنا؟

علا التجهم وجهه عندما لم تُبادره بأي ترحيب، وهمس:

- أمك فتحت لي الباب وأعلمتني انك هنا تشاهدين غروب الشمس.

أخذ قلبها يزداد خفقانا فأشاحت بنظرها عنه. اكتفت بكلمة نعم، ثم استطردت:

- استلمت باقة الازهار. شكراً.

وقال وكأنه يتحداها:

- هذا واجبي. هل يمكنني الجلوس؟

اشارت عليه بالجلوس على أحد كراسي الشرفة. وبكل برودة اعصاب اختار الكرسي المحاذي لها، وفي مواجهتها تماماً. وما ان جلس حتى انتصبت واقفة وخطت نحو عمود خشبي. نظرت اليه نظرة غاضبة ووهج الشمس يتراقص بين ضفائرها الشقراء:

- انك لا تقوم بزيارة اجتماعية الآن! لماذا أتيت الى هنا يا سيد كوربت؟

قرأ وجهها الصارم للحظات قليلة قبل ان يجيبها:

- لماذا تظنين ان زيارتي ليست مجاملة اجتماعية؟

قالت وهي تصارع انفعالاتها:

- ان كنت أتيت لتعرف ما اذا تغلبت على محنتي واصبحت بخير، فالجواب هو نعم.

اجابها جيم باحترام:

- انا سعيد لسماع ذلك يا براندي.

أتى استخدامه لاسمها الاول ليزيد اعصابها توتراً. فهي لم تكن تنظر اليه عندما نطق بعبارته، فخالته جيم الذي لقيته في الصحراء وليس جيمس كوربت. انه لمن الجنون المطلق الاستمرار في اعتباره وكأنه شخصان مختلفان.

كانت اصابعها تضغط على العامود الخشبي وهي تبحث عن الكلمات الملائمة:

- الآن وقد اشبعت فضولك يا سيد كوربت، لم تعد في حاجة الى تمديد زيارتك كبادرة احترام!

وبضحكة خافتة قضى على محاولتها للتخلص منه:

- لم يسبق لأحد ان اتهمني بالدماثة وحسن السلوك... واعتقد انني لست كذلك. من هنا فانك لن تنجحي في الايحاء الي بمغادرة هذا المكان.

واشتعل الغضب في عيني براندي:

- لا شك فيما تقوله يا سيد كوربت. اعرف تماما انك لا تتمتع بصفات السيد المهذب، وهو أمر كدت أنساه لسوء الحظ.

ابتسم ابتسامة مطمئنة هادئة:

- واخيرا وصلنا الى سبب زيارتي.

وسألته براندي بجفاف:

- وما هو السبب؟

اجابها:

- اعرف انك أصبت بالاستياء الشديد عندما اكتشفت هويتي الحقيقية الأحد الماضي...

- لا احد يحب ان يتحول الى مغفل بدون ارادة منه. انك وجدت

الأمر كله مدعاة للتسلية عندما لم اعرفك. لا بد انك ضحكت كثيراً وانت تستعيد هذا المشهد. واذا ما استيقظ ضميرك الآن وجئت الي هنا للاعتذار يا سيد كوربت...

لم يدعها تكمل:

ـ لا ليس هذا سبب مجيئي، لأنني لا اشعر بالندم والأسف. واذا ما ناديتني سيد كوربت مرة ثانية، عليك مواجهة كل العواقب!

ادركت براندي وهي تتذكر قوته الخارقة انه مستعد لترجمة كلماته الى أفعال. اصيبت بقليل من الهلع، لكنها حرصت على كشف ما يجول في خاطرها.

سألته وكأنها تتحداه:

ـ ماذا تريدني ان اناديك؟

تقلصت عيناه السوداوان في لحظة تأمل الى ان قال:

ـ لم تجدي صعوبة في الماضي عندما كنت تنادينني جيم.

ذكّرته براندي بكلمات تطفح غطرسة:

ـ هذا هو الأسم الوحيد الذي كنت اعرفه آنذاك، فلم يكن في يدي حيلة.

تابع سخريته اللاذعة:

ـ والآن توجد اسماء اخرى تحبّين اختيارها بدل الأسم الاصلي.

فردّت موبخة اياه:

ـ لم اقل ذلك.

بدا وكأنه ضاق ذرعاً بهذا الجدال:

ـ ألم يخطر في بالك لماذا لم اطلعك على هويتي الحقيقية؟

وكادت ان تبتسم وهي تجيب:

ـ يمكنني ان احزر لماذا؟

وردّ عليها بكلمات مشحونة هزلاً وغيظاً في آن معاً:

ـ اذن اتمنّى انني لن اضجرك كثيراً بتفسيري للموضوع. أدرك تماماً ان المرء يصاب بالملل عندما يصغي الى ما يعرفه مسبقاً!

لم تطق براندي التحديق طويلاً في عينيه الجامدتين، فحولت نظرها نحو البعيد. واصرّت بصوت شبه مرتجف:

ـ انني أرحّب بأي تفسير يصدر عنك.

أصبح الجو مشحوناً بالتوتر. شعرت انها تستفز مشاعره بدون ان تستطيع وضع حدّ لهذا الاسلوب المهين. ان خداعه آلمها كثيراً، ولم تكن تنوي الصفح عنه بسهولة. مع ذلك تمالك جيم اعصابه على نحو يثير الاعجاب وهو يقول:

ـ عندما عثرت على خيمتي تلك الليلة تبادر الى ذهني انك احدى المعجبات ممن يتعقّبن آثاري. ثمة فتيات كثيرات يفعلن ذلك. ولم يكن من السهل علي تبين حقيقة مقاصدك في البداية.

فهمت براندي الآن لماذا بدا عليه ذلك الغضب الشديد عندما رآها. مع ذلك تجاهلت المسألة وعلّقت قائلة:

ـ لا شك انك اصبت بخيبة الأمل عندما اكتشفت حقيقة وجودي هناك؟

اجاب مشدّداً على كل حرف:

ـ ان مهنتي تعود علي بفوائد كثيرة، ولكن ليس بغير مقابل. وأكاد لا اتمتع بحياة شخصية. من هنا حرصي الشديد على لحظات قليلة اختلو فيها الى نفسي. واذا ما رغبت في معاشرة امرأة، اختارها انا وفي الوقت الذي يلائمني.

بدأت براندي تستعيد هدوءها السابق وقد سمعته يشرح لها موقفه، فأجابته باسترضاء:

ـ افهم تماماً ما تقول.

وبثقة لا تعرف حداً، تتراقص في عينين ساخرتين بدأ جيم يستفيض في شرحه:

ـ آمل انك تفهمين لماذا كانت مسألة عدم تعرّفك علي مدعاة للتسلية، خاصة مع اتهامك لي بسرقة الماشية. وادركت للحال انك لا تخادعين من اجل اقناعي للسماح لك بقضاء الليل معي. كنت

متأكدة تماماً انني سارق ماشية، فاخترت كيف أخبرك حقيقة الامر. وهكذا بعد مضي وقت قصير، قررت عدم اخبارك.

اعلنت براندي بمرارة:

- انها كانت مهزلة باهرة.

ترك جيم كرسيه ومشى ببطء نحو العامود الخشبي حيث تقف براندي، وخاطبها بهدوء:

- لا لم تكن مهزلة. عندما لم تدركي حقيقة هويّتي شعرت وكأنني انسان جديد. انه شعور افتقدته منذ أمد بعيد.

كان كلّما استمر في ايضاح موقفه، كلما تضاءلت مشاعر براندي بالأهانة والاذلال، فصاحت قائلة:

- كنت سأكتشف من انت اجلاً أم عاجلاً!

ولم يجد بدّاً من الاعتراف:

- حسبت حساب ذلك. وفكرت في البداية بإيصالك الى مكان قريب من منزلك ليس اكثر، غير ان العاصفة الرملية ألغت مشروعي.

سألته براندي متذكرة انه قاوم محاولتها لمساعدته على الهرب عندما اقتربت منها الهليوكوبتر:

- لماذا؟

وشرح لها:

- لأنني عرفت ان الهليوكوبتر تخص مزرعة سوارو. ثم لمحت دون بيترز مدير أعمالي فادركت انهم يبحثون عني.

كان يقف امامها بقامته الفارعة، قوياً جذاباً. لم يكن يفصل بينهما اكثر من قدم واحد. انها لحظة حرجة بالنسبة الى براندي فهي لا تدري ما الذي يخبئه لها من مفاجآت. قالت معترضة، ولكن بدون عداء او غضب:

- كان عليك ان تطلعني على هويتك مهما كانت الظروف!

تحركت يده فوق العامود الخشبي مقتربة من ضفائر الشعر التي

يداعبها نسيم خفيف واعلن:

- عندما لمحت الهليكوبتر عرفت انه لم يعد لدي خيار. لكن لم يتسع الوقت لاخبارك بسبب حجب هويّتي عنك اذ ان الهليكوبتر اخذت بالهبوط. وعزمت على اخبارك فور وصولنا الى منزلك. ولكن ما ان صعدنا الى الهليكوبتر حتى كنت عرفت من انا، اليس كذلك؟

واقرّت براندي:

- نعم. سمعت ذلك الشخص... مدير اعمالك... يناديك باسم كوربت فادركت من انت.

كان وجهه ينبض بالحيوية المتدفقة من تلك التقاسيم الخشنة. بدا وكأنه انسان جديد في هذه اللحظة. غير ان براندي اصرّت على اشباع هذه القضية نقاشاً. لم يدعها تستمر بل قال:

- اه، لو رأيت تلك النظرة في عينيك عند اكتشافك هويتي، لكنت قدّرت سبب عزوفي عن اطلاعك على اسمي الكامل.

شوّش تعليقه افكارها كلها، رفعت رأسها تسأله:

- ماذا تعني؟

أجاب:

- خلت انني لم اعد انساناً سوياً بالنسبة اليك، مجرد كتلة تافهة لا معنى لها. وللحظات معدودة لم اهتم بما يجول في خاطرك حول امتناعي عن اخبارك الحقيقة.

ارادت ان تصدق كل كلمة تفوّه بها، وراحت تبحث في عينيه عن اشارة ما لتتبين مدى صدقه. سألته متوقعة منه تعزيز انطباعها:

- والآن تريد اطلاعي على السبب الفعلي؟

تمعّن في تعبير وجهها وهو يلمس تردّدها وحيرتها:

- ما زالت لا تثقين بي أليس كذلك؟

ردّت تدافع عن نفسها:

- لم تترك لي مجالاً!

أجاب بابتسامة باهتة:

- لا ليس صحيحاً. اعتقد ان تصرفي كان نموذجياً طوال المدة التي قضيناها معاً.

- يمكنك ان تقول ذلك. نعم.

طافت ابتسامة أشد وضوحاً على شفتيه:

- اذن لماذا لا نتناول العشاء سوية ليلة السبت؟

ظنت براندي انه ليس جاداً في دعوته:

- المعذرة ماذا تقول؟

- قلت لنتناول طعام العشاء سوية ليلة السبت.

واستفسرت ثانية:

- ولكن لماذا؟

أجابها بهدوء غريب:

- ما هو رأيك انت؟ لانني اريد تناول الطعام معك طبعاً.

بلعت ريقها تهيء نفسها للجولة المقبلة:

- لا يجب ان تشعر ان من واجبك دعوتي الى العشاء. استوعبت الآن كل شيء ولا حاجة الى هذه المبادرة اللطيفة!

حاول الاحتفاظ باعصاب باردة وهو يعيد نغمته القديمة:

- أنا لست رجلا لبقاً يا براندي، ولا أوزّع صدقات لوجه الله.

كان بريق عينيه يشكل لغزا عميقاً يزيد افكارها اضطرابا. أشاحت بوجهها عنه وأضحى عنقها كالوتر المشدود، انه رجل جذاب وهي تدرك ذلك في عمق اعماقها. يا للهول ان عباراته المعسولة تكاد تقنعها بقبول الدعوة. وراحت تقارن بينها وبين جيمس كوربت.

انهما ينتميان الى عالمين مختلفين تماماً.

فجأة وجدت ذراعها في قبضته الحديدية. أمسك بها كأنه يؤنبها على سلوكها المشين وبدا في حالة من الغضب القاتل. خاطبته بتذمّر:

- لا تنظر الي هكذا، دعني وشأني.

أرخى اصابعها بدون ان يتركها وشأنها وتنهّد بحدّة:

- لنضع حداً لهذه المهزلة. إنك تعقدين الامور.

احتجت براندي:

- لا يمكنني ان انسى من انت. واحس بفخر عظيم عندما توجّه الي دعوة كهذه، ولكن...

قاطعها ساخراً:

- تشعرين بفخر عظيم! انا لست ملكاً يشملك بفضله ورعايته.

وبصوت يتراوح بين الغضب واليأس اجابته:

- اذن ما تريدني ان اقول؟ اذا كنت تريد جواباً واضحاً فهو كلا. والآن دعني امضي في سبيلي.

سحب يده باشمئزاز قاتل. وقبل ان يغيّر رأيه ابتعدت عن العامود لتكون في مأمن منه. أدارت له ظهرها بغية حجب وجهها المرتعش وعينيها المغرورقتين بالدموع.

تمنت لو تستطيع استرداد جوابها السلبي، مع انها كانت مقتنعة بصحة القرار الذي اتخذته. حثّها صوت داخلي على القبول، اذ المسألة كلها مجرد دعوة للعشاء. وهي ستكتسب خبرة جديدة في صحبة نجم سينمائي مشهور، وسوف تروي ما جرى معها لأولادها يوماً ما. ومن ناحية اخرى المسألة ليست بهذه البساطة. حذّرتها غريزتها من النظر باستخفاف الى قضاء بعض الوقت مع رجل مثل جيمس كوربت.

قال لها رابط الجأش هادئاً:

- ربما تغيرت الامور في المرة المقبلة يا براندي.

كانت عيناها زائغتين وفي اعماقها صراع أليم. أجابته بحزم:

- لا ان الامور لن تتغير يا سيد كوربت.

لم يحاول اقناعها مرة ثانية. استدار وتوجّه لتوّه الى الخارج. وعجبت براندي لخروجه السريع، وكأنها تتمنى لو تمالك اعصابه قليلاً. مع ذلك خامرها شعور باطني ان شخصاً مثله سيعود بعد مرور فترة قصيرة.

جلست براندي امام نافذتها طوال نهاية الاسبوع تتوقع اقتراب سيارته من منزلها. وكم من مرة حبست انفاسها وهي تسمع رنين الهاتف. ولكن أطلّ صباح الاثنين وجيم لم يبذل أي جهد للاتصال بها. وتراكضت ايام الاسبوع وهي تتملكها الشكوك والحيرة حتى خالت انه قرر عدم تبديد وقته الثمين. وهي ككل انثى تريد منه المثابرة والإلحاح برغم رفضها الخروج معه.

مرّ اكثر من أسبوع بدون ان تسمع منه شيئاً لكنها كانت تتعقب كل اخباره عبر صديقتها كارن والتي كانت تجهل زيارة جيمس كوربت لبراندي ودعوتها لتناول العشاء معه. وهكذا ترامت الى مسامع براندي قصة جيمس كوربت المثيرة مع لارين ايفنز، احدى الممثلات التي تظهر معه في فيلمه الجديد.

وجلبت لها قصاصة فيلم تضم صورة للاثنين معا، حيث ظهرت الممثلة السمراء الجذابة وكأنها تتحدّى براندي مباشرة. وتثير في قلبها موجات من الحسد الجارف. وزاد الطين بلّة قصة كارن حول قضائهما نهاية الاسبوع الفائت في بلدة نائية تقع على حدود الولاية. وعندما سمعت براندي انهما علاوة على التمتع بمناظر المكسيك ذهبا لمشاهدة حفلة صراع للثيران، قررت ان هذه الممثلة السمراء حتماً متوحشة الطباع تجد لذّة فائقة في مشاهدة الدماء المسفوكة.

ومع مرور نهاية الاسبوع الثاني اقتنعت براندي انها لن ترى جيمس كوربت بعد الآن. وماذا كانت تتوقع؟ سألت نفسها وهي تحمل السلم الصغير من غرفة الحانوت الخلفية. انها برغم جاذبيتها لا تستطيع منافسة تلك الممثلة الفاتنة الأخاذة لارين ايفنز.

قفزت كارن غاضبة لازاحة تمثال خزفي من طريق براندي:

- ما الذي تنوين فعله بهذا السلّم؟

أجابتها براندي بعد ان شقت طريقها بأمان:

- اعتقد انه حان الوقت لاعادة ترتيب تلك الحبال المتدلية هناك، وانزال بعض قطع الفخار التي نعرضها، فهي معلقة منذ شهر نيسان

(ابريل) الماضي، والناس يحبون رؤية اشياء جديدة.

وهمّت كارن بمساعدتها، لكن براندي عاجلتها قائلة، وهي تركز انتباهها على السلّم:

- اعتقد انني قادرة على القيام بالمهمة منفردة.

واستفاضت كارن في شرح الموقف:

- سأهتم الآن بالزبائن. وعندما تعود السيدة فيليبس من الغداء سأساعدك حتى لا تضطري الى الصعود والنزول على السلم طوال الوقت. هذا اذا عادت من غدائها.

تابعت كارن مشددة على معاني كلماتها:

- لولا وجودنا هنا عاملات مخلصات مجدّات لكان هذا الحانوت اقفل ابوابه. ان السيدة فيليبس غير موجودة في معظم الاحيان.

ضحكت براندي وهي تتسلق السلم محاولة تلافي الأباريق المتأرجحة:

- ان السيدة فيليبس استخدمتنا لهذا السبب بالضبط حتى تستطيع التغيّب متى شاءت.

تمتمت كارن:

- ان السيدة غوردون دخلت لتوّها. تريد خيوطاً خاصة لسجادة ملونة تحيكها. وهي تسأل عنها للمرة الثانية وكانت السيدة فيليبس أقسمت لها انها ستعطيها الخيوط اليوم.

همست براندي وصديقتها تخطو بامتعاض نحو السيدة:

- اتمنى لك حظاً سعيداً.

ظلت براندي مقرفصة على درجة السلم العليا تحجبها الحبال المتدلية الغليظة وراحت تختار قطع الفخار الملائمة للعرض الجديد وكأنها فنان يرسم لوحة زيتية.

دخل الحانوت شخص آخر. ولكن لمعرفة براندي ان كارن ستكون قادرة على الاهتمام بالزبون الجديد خلال دقائق قليلة، لم تشأ اهمال مهمتها الصعبة. وسرعان ما أحست بالصقيع يدب في عروقها

وهي تسمع صوت الرجل:
ـ أريد ان ارى بعض القطع الجلدية.
لم يكن الصوت العميق الأجش سوى صوت جيمس كوربت.
تلعثمت كارن وهي لا تكاد تصدق عينيها:
ـ طبعاً. . . طبعاً يا سيد كوربت!
نظرت براندي بحذر شديد عبر الحبال المتدلية كيلا تلفت الانتباه اليها، فوقع نظرها عليه وهو يرفع نظارته الشمسية ويستدير ليلحق بكارن. شعرت براندي بالاضطراب واخذت تسأل نفسها: هل اكتشف مكان عملها وأتى لرؤيتها؟ ليس هذا ممكناً، لكنها تمنت لو صحتّ توقعاتها.
كانت كارن في حالة من الارتباك الشديد. وكادت ان تتساقط القطع الجلدية من يديها. وعندما سقطت احدى القطع وانحنى جيم لمساعدتها كاد ان يغمى عليها. . . ولم تلمها براندي. . . بدا جيم أشدّ جاذبية، طبيعياً ورابط الجأش.
لم تتحرك براندي من مكانها في أعلى السلم مخافة ان تصاب بالاحراج اذا اكتشفت انه لم يأت لرؤيتها. انتظرت منه ان يذكر اسمها أولاً. كانت الحبال الغليظة تحجبها عن الرؤية فاطمأنت.
سألته كارن:
ـ هل. . . هل لديك اهتمام بالقطع الجلدية سيد كوربت؟
رفع نظره وابتسم ابتسامة باهتة:
ـ انها احدى هواياتي المفضلة ليس اكثر.
وسرعان ما استعادت كارن ثقتها بنفسها وانطلقت على سجيتها الثرثارة:
ـ اعتقد انك تحتاج الى هواية كهذه تساعدك على الارتخاء بعد عناء التمثيل.
وتابعت:
ـ انك لا تقدر مدى اغتباطي لرؤيتك يا سيد كوربت: انني

احدى المعجبات بك منذ زمن طويل. شاهدت كل افلامك، وشاهدت بعضها اكثر من مرة.
اجاب بحركة لا مبالية:
ـ شكراً. ارجوا ان تكوني قضيت وقتاً ممتعاً.
أكدت له كارن بحماس:
ـ نعم. نعم. اني انتظر فيلمك الجديد بفارغ الصبر. لا بد انك تعتز جداً بعملك.
وافق على كلامها، غير ان براندي تبيّنت سخريته الجافة وهو يستطرد:
ـ ان عملي ممتع في نواحٍ معيّنة، وممل للغاية في نواحٍ اخرى.
ضحكت كارن وهي تردّ شعرها الى الوراء:
ـ انا في اي حال لم يحصل لي شرف معرفة كيفية تصوير الافلام بعد.
بعد ان اختار جيم كل ما يريده وقف منتظراً إعلامه بالثمن. هنا قررت براندي ان وجوده في الحانوت لا علاقة له بها، وتمنّت لو ان كارن لا تبوح بأي شيء عنها. هدأ روعها وهي تعرف مدى ارتباك كارن وعدم قدرتها على تذكرها الآن.
قال وهو يدفع ثمن الاغراض:
ـ هل تودين إلقاء نظرة على كيفية تصوير الافلام يا آنسة. . .
فقدّمت نفسها بعجل:
ـ ان اسمي جاستن، كارن جاستن.
فانبأها لتوّه:
ـ يمكنني ان أدبر لك تذكرة مرور في أحد ايام الاسبوع المقبل اذا كنت غير مشغولة.
واعلنت كارن مختبطة:
ـ نعم. نعم. اننا نغلق الحانوت كل خميس بعد الظهر.
علت وجهه ابتسامة ساخرة وهو يتابع:

- ربما تستطيعين اقناع الآنسة ايمس بالنزول عن السلّم والانضمام اليك.

واستدار عمداً في الحبال الغليظة التي كانت تحجب براندي. ونزلت عليها كلماته كالصاعقة. كيف اكتشف مخبأها الآمن؟ ولشدة ارتباكها كادت تهوي عن السلّم. ثم لم تلبث ان استعادت توازنها وبدأت تهبط ببطء متعمّد. كان جيم ينتظر عند أسفل السلّم. وعيناه تهزآن من حمرة الخجل التي غطت وجنتيها. . .

وتمتم قائلاً:

- هل اعتقدت فعلاً انك كنت محجوبة عن الانظار؟

استنكرت براندي رأيه:

- لم اكن احاول الاحتجاب. كنت اعيد ترتيب بعض القطع.

والتقت نظراتها بعيني كارن، فأدركت لتوّها ما الذي يدور في خاطرها. وابتسم جيم بخبث:

- لاحظت انك تعملين بصمت تام. وطالما انك كنت مشغولة الى هذا الحد اسمحي لي بتكرار الدعوة التي قدمتها للآنسة جاستن.

عز على براندي الاعتراف باختلاس السمع فسألته:

- ما هي طبيعة هذه الدعوة سيد كوربت؟

تجهّم قليلاً وهي تشير الى اسمه على هذا النحو الرسمي، وكأنه يحذرها من عواقب وخيمة. وخاطبها متحدّياً:

- عرضت ان احصل على تذكرة مرور لك وللآنسة جاستن. وذلك من اجل السماح لكما برؤية تصوير فيلمي الجديد. ذكرت صديقتك ان الحانوت يغلق ابوابه بعد ظهر الخميس المقبل. . . سأدبر التذكرة لذلك التاريخ اذا كان كل شيء على ما يرام.

قفزت الى ذاكرة براندي أقواله السابقة عندما زارها في المنزل، وخاصة ان الامور ستختلف في المرة الثانية. ارادت رفض الدعوة لمجرد النكاية، وهي ترغب في قبولها في آن معاً. ولا شك ان صراعها الداخلي بدا واضحاً على قسمات وجهها.

تكلمت كارن وعيناها تتضرعان لبراندي مخافة تفويت هذه الفرصة النادرة:

- كل شيء على ما يرام. انه الوقت الملائم تماماً.

وتنهدت براندي بمضض:

- نعم. الخميس يناسبنا جيداً.

قال كمن حقق انتصاراً باهراً:

- حسناً جداً. سأقوم بكل الترتيبات. اذهبا الى البوابة عند المدخل وسيتولّون أمركما هناك.

ابتسمت كارن ابتسامة عريضة:

- شكراً جزيلاً يا سيد كوربت.

حلق في براندي مؤكدا انه يحصل دائماً على ما يريد. وعندما ودّعهما ادركت براندي مدى خبرته في التعامل مع المرأة. . . جعلها تنتظر مدة اسبوعين بدون ان يتصل بها بتاتاً. ثم ما ان يئست من رؤيته ثانية. وندمت على رفض دعوته حتى ظهر مجدداً.

لم تجد براندي سبباً يدفعها الى رفض دعوته الثانية. فهو لم يقترح قضاء سهرة ودية بل على العكس دعا صديقتها معها لإدخال الطمأنينة الى قلبها. اضافة الى ذلك، انها دعوة للقيام بجولة في وضح النهار. لم يخامر براندي الشك ان ذهابها سيكون مفيداً وممتعاً ويتسم بكل البراءة. هكذا وجدت نفسها تقبل الدعوة بدون تردد. وهذا ما كانت تتمناه بينها وبين نفسها. ان كارن على حق. هذه الدعوة فرصة لا تفوّت.

وفكرت بصمت لو ان الزمن يقفز بسرعة فيحين يوم الخميس. ان وقت الانتظار صعب وقاتل.

٥ - مع النجوم

اعلنت كارن وهي تمدّ يدها المرتعشة لتأكيد قولها:

- كم انا مغتبطة. انظري كيف أرتعش ارتعاشاً!

حاولت براندي ان تهدىء من روعها. لكنها هي الأخرى كانت تتصبب عرقاً، تكاد اصابعها لا تستقر على حال.

اوقفت كارن سيارتها في موقف عربات السياح. وسارتا صوب المدخل الرئيسي المؤدي الى توسون القديمة. وهي عبارة عن بلدة مشابهة لما كان عليه الغرب الأميركي في الايام الخوالي.

قالت كارن والقلق يتملكها:

- اعرف انني كثيرة الثرثرة. ولكن ارجو ان لا ينسى قدومنا اليوم.

طمأنتها براندي:

- لا لن ينسى.

هزت كارن رأسها:

- طبعاً. طبعاً. لن ينسى ما دمت هنا. وخاصة اذا حسبت كل الجهود التي بذلها ليحملك على المجيء. كلما فكرت في رفضك ضرب موعد مع جيمس كوربت، ازددت قناعة ان دماغك محشو بالتبن او الحجارة.

كانت براندي اخبرت كارن، بعد ان غادر الحانوت يوم الاثنين عن زيارة جيم الى منزلها، آملة تخفيف وطأة الدعوة الثانية. لكن كارن أنبتها بعنف، متهمة اياها شتى التهم، ووبختها لحجبها هذا السر الخطير عنها.

احتجّت براندي تدافع عن نفسها:

- لا حاجة الى تكرار المعزوفة نفسها، علاوة على ذلك، لا يوجد اي شيء مشترك بيني وبين نجم سينمائي.

استشاطت كارن غيظاً:

- ما هذا الكلام الفارغ؟ لا يمكنك اصدار حكم مسبق في أمر كهذا. اتمنى ان لا تسلبه الممثلة ايفز منك.

احست براندي بوخز في حلقها، ولم تلبث ان اشارت:

- لا يمكن لأحد ان يسلب منك شيئاً لا تملكينه.

تجاهلت كارن دقة تلك الملاحظة:

- ربما دبّ الخلاف بينهما فالتجأ اليك لمؤاساته. هذا ما يفسر انتظاره كل هذه المدة قبل ان يحاول رؤيتك ثانية.

حسبت براندي انها مسألة غير مستبعدة. مع انه ليس من الطبيعي ان يكون رجل معتد بنفسه مثل جيم يحتاج الى المؤاساة.

وصلتا الى المدخل الرئيسي. وانتظرتا قليلاً امام شباك التذاكر. ابتسم لهما رجل أصلع يرتدي قميصاً ابيض تقليدياً، يلتف بأحد كميه رباط احمر. نظر اليهما كأنه يعرف كل شيء عنهما. ورحّب بهما بأسلوب من احترف المهنة:

- السلام عليكما.
انعقد لسان براندي فخانتها الكلمات. تطوعت كارن لانقاذها:
- اعتقد ان السيد كوربت ترك لنا بعض التذاكر. أنا...
وقاطعها بحرارة بالغة وهو يتفحص وجه براندي:
- لا بدّ انكما الآنسة جاستن والآنسة ايمس. اعلمني انكما قادمتان. سأنادي أحد الاشخاص ليأخذكما الى الداخل.
ابتسمت كارن شاكرة وهما تتقدمان الى الجهة الاخرى لافساح المجال امام الزوّار الاخرين. وسمعت براندي صوت الرجل الأصلع يهتف.
- آنسة ايمس انك أجمل بكثير من صورتك في الجريدة!
كان يشير حتماً الى صورتها التي نشرتها الصحف إثر انقاذها مع جيم في الصحراء. اذن اخطأت عندما ظنت ان تلك الحادثة طواها النسيان بعد هذه المدة من الزمن. ضاق العالم في وجهها وهي تقلب سلبيات محيطها وايجابياته مجدداً. اخيراً ردّت على اطرائه مبتعدة عن الشباك:
- شكراً.
جلستا تنقلان الانظار بين ألواح الحائط التي تعرض صور الافلام ومسلسلات التلفزيون التي تم تصويرها في توسون القديمة. وما هي الا دقائق معدودة حتى اشار عليهما مسؤول التذاكر بالمرور. وجدتا في انتظارهما رجلاً في لباس رعاة البقر يعلق نجمة على صدره ويتمنطق بمسدس في خصره. كان مفترضاً ان يبدو مثل مدير شرطة من الغرب الاميركي لولا تلك النظارات السوداء التي تخطي عينيه وجهاز اللاسلكي الذي يحمله في يده اليسرى. وغادر الرجل الاصلع شباك التذاكر ليقدم الفتاتين الى مرافقهما صاحب المظهر الغريب. والتفت اليه قائلاً:
- هذا ديك مورفي الذي سيقودكما الى مكان التصوير. ديك أقدّم لك الآنسة ايمس والآنسة جاستن. انهما ضيفتا السيد كوربت فابذل

قصارى جهدك للاهتمام بهما.
لمس الرجل الذي يدعى ديك مورفي حافة قبعته احتراماً، واشار عليهما لتتبعاه.
همست كارن بصوت خافت:
- انهم يرحبون بنا كأننا ضيوف ذوو أهمية!
تطلعت براندي اليها بنظرة مبهمة ولم ترد بشيء وهما تتقدمان عبر الدرب المفروش بالرمل المؤدي الى شارع البلدة الرئيسي. كان سياج مرتفع يستر عن الانظار موقف السيارات، ويوهمهما أنهما فعلاً في توسون القديمة بجبالها الشاهقة وشوارعها المليئة بالغبار.
تكلم ديك مورفي:
- بما انكما من توسون لا بد ان تعرفا ان معظم بلدة توسون بني منذ ١٩٣٩ لتصوير فيلم أريزونا. ثم هجرت البلدة لعدة سنوات.
أجابت كارن:
- سمعت بذلك. في الواقع ان براندي... الآنسة ايمس من توسون. انا قدمت مؤخراً الى هنا اذ ان مسقط رأسي هو بلدة بيريكنفدرج من ولاية كولورادو.
علّق الرجل بابتسامة عذبة:
- ان بلدتك في وسط جبال الروكي الصخرية. انها عالم اخر من حيث المناظر والمناخ.
تطلعت كارن صوب مجموعات السياح الذين يتجولون على الارصفة العريضة وقالت:
- هذه هي المرة الاولى التي ازور فيها هذا المكان وهم يصوّرون فيلماً سينمائياً. لا أدري كيف يحافظون على النظام في هذه الاجواء.
تبرّع ديك باشباع فضولها:
- يقومون باغلاق البقعة امام الجمهور عند تصوير منظر معين.
نظرت براندي الى البعيد بفضولية واضحة:
- اين يصورون اليوم؟

فمد رأسه في اتجاه الشرق:

- هناك في القرية المكسيكية الصغيرة.

حول ديك موركي اتجاهه عندما وصل الى الدرب الضيقة المؤدية الى القرية، وراح يسير حول الحاجز الذي سدّ الطريق. وكان يقف في الجهة المقابلة حارس يرتدي بزة مشابهة لبزة ديك. هز الحارس برأسه وهم يمرون من امامه.

وما ان انعطفوا تاركين الشارع الرئيسي حتى بدأت المباني ذات الواجهات الخشبية الغربية تخلي الطريق امام المباني القرميدية. وترامت الى آذان براندي ضوضاء وجلبة أناس يقومون بعمل ما. وفجأة توقفت الجلبة فادركنا انهم يباشرون بالتصوير.

اقتربنا بهدوء من فريق العمل الذي بدا اعضاؤه كالتماثيل يحدقون صامتين في الممثلين عبر الكاميرات. ولكثرة المتفرجين ومجموعات العمل المختلفة والآلات والرافعات والأشرطة لم يكن من السهل رؤية الممثلين والممثلات بوضوح.

لم تهتم براندي كثيراً بما يدور من حولها، اذ كان تفكيرها مركزاً على ايجاد جيمس كوريت... هل هو يؤدي دوره الآن ام يكتفي بالتفرج مع بقية الجمهور؟

واخيرا لمحته يسند كتفه على حائط قرميدي، دافناً ذقنه وفكه في يده اليسرى يراقب المشهد بإمعان. كان منظره يوحي بثقة عارمة تشع من وجهه الصارم. ومرّت في ذهن براندي خطورته الفائقة وصفاته البدائية وهو يقف هناك بلباس رعاة البقر الذين لا يبالون بالأعراف او القوانين. مع ذلك شعرت في اعماقها انه انسان دمث الاخلاق، مستقل الرأي، جذاب الشخصية.

قطعت شريط افكارها وهي تراه يتحرك من مكانه متوجهاً صوبها. وارتسمت ابتسامة مرحة على شفتيها استعداداً لتلك اللحظة التي سيراها فيها، غير ان نظراته لم تلتق بنظرتها.

ظل يسير في اتجاهها، في حين كان الآخرون في حركة عشوائية

مستمرة، عما عنى نهاية تصوير المشهد. توقف جيم وراء رجل يرتدي نظارات سوداء الاطار، يضع قلماً وراء اذنه، ويلبس قميصاً أبيض أكل الدهر عليه وشرب. وانضمت الى الرجلين امرأة ذات شعر داكن، بدت محط اهتمام جيم. ادركت براندي سرّ اهتمامه وهي تلمح ثيابها التي تظهر مفاتنها وجسمها الضامر وخصرها الرشيق: انها تلك الممثلة الجذابة لارين ايفنز التي ورد اسمها في الصحف وتربطها علاقة عاطفية مع جيم. ثم حولت انتباهها الى الرجل الثاني. لاحظت براندي ان هذا الرجل ما هو الا المخرج، نظراً لاسلوبه في اعطاء الاوامر.

كانت نيران الحسد تلتهم شرايين براندي التهاماً وهي تراهما يقفان معاً ويتبادلان الحديث على نحو حميم ومتواصل. لم تعبأ بما كان ديك موركي يقوم بشرحه لصديقتها كارن حول مجرى العمل، ولا بكل ما يدور حولها من حركة وضوضاء. ان شخصاً واحداً يسيطر على عقلها الآن... جيم الممثل او سارق الماشية لا فرق.

كم كانت مغفلة عندما ظنت انها حازت على اهتمام جيم! وكادت تشيح بنظرها بعيداً عندما التقت عيناها بعينيه. حبست أنفاسها تحاول التثبت انه ينظر اليها فعلاً لا الى شخص آخر يقف وراءها. رأته يومىء رأسه لها ثم يرمق وجه الممثلة السمراء.

ابتعدت براندي بسرعة قبل ان يتبين شوقها لجذب انتباهه. كانت نبضات قلبها ذات وقع غريب لم تألفه من قبل، وكأنه يدعوها لالقاء نظرة اخرى. غمرتها غبطة عارمة وهي ترى جيم يبتعد عن تلك السمراء. وحاولت جاهدة التركيز على حديث ديك موركي مع كارن. لكن هيهات! لم تعد ترى سوى تلك القامة الطويلة تتقدم نحوهم بثبات. تظاهرت انها فوجئت به عندما توقف امامها.

وكعادته تحدّث بعينيه ولسانه معاً.

- يبدو انكما وصلتما بأمان الى هنا.

ابتسمت براندي مرتبكة، مشيرة الى كارن لتؤكد ان الدعوة

تشملهما معاً وليست موجهة اليها وحدها:
- نعم. وصلنا بأمان.
وكعادتها وافقت كارن بحماس:
- نعم. نعم. وديك موركي شرح لنا كل شيء. كنت أعرف ان صنع الأفلام مسألة معقدة وفنية، غير ان التفاصيل الدقيقة لم تخطر ببالي.
أعلن جيم بجفاف وهو يلحظ مسحة الحياء تعلو وجنتي براندي:
- اتمنى ان تجدا بقية الجولة مفيدة ايضاً.
ثم خاطب المرافق:
- شكراً لاهتمامك بهما نيابة عني يا ديك.
ألقى المرافق تحية الوداع قائلاً لجيم:
- انا تحت التصرف في اي وقت.
ارتسم القلق على وجه براندي مدركة ان دليلهما سيكون جيم من الآن فصاعداً. كانت تحسبت لذلك عندما وجه اليها الدعوة في الحانوت. ثم لم تلبث ان طردت الفكرة من ذهنها مقنعة نفسها بانهماكه في العمل. وقرأت في بريق عينيه انه يعلم تماماً ما يدور في خاطرها. أبدت كارن ملاحظة تصحبها تنهدة عميقة:
- انه رجل جميل أليس كذلك؟
حدجتها براندي مذعورة، ثم ادركت انها تشير الى ديك موركي وليس الى الرجل المقلق الذي يقف الى جانبها. واضافت كارن وهي تتابع رحيل ديك:
- انه للاسف يلبس خاتم زواج. لا بأس. انا تعيسة الحظ باستمرار.
تدخل جيم يخفف عنها:
- لا تيأسي، ديك فقد زوجته في حادث سيارة العام الماضي.
تمتمت كارن مبدية أسفها العميق وبريق الأمل يشع من عينيها:
- انها مأساة مؤلمة.

سألت براندي جيم ساعية الى الحفاظ على رباط جأشها:
- أليس عندك عمل اليوم؟
فعادت السخرية الى وجهه:
- لا. ليس اليوم. قررت ان أضع خبرتي المتواضعة تحت تصرفكما.
قالت براندي:
- انها بادرة لطيفة منك.
أجابها هازئاً:
- نعم انها كذلك.
قطع الحديث صوت امرأة يموج بالدفء والاغراء. ها هي لارين ايفنز تطوق جيم بذراعها. متجاهلة وجود براندي وكارن:
- هل نسيت ميعادنا؟
بدت تلك الممثلة أشد جاذبية وسحراً وهي تقف قرب براندي. كانت عيناها تفترسان جيم افتراساً، وكأنها تعتبره ملكاً خاصاً بها. ابتسم قليلاً واشار الى براندي وكارن:
- آسف. ليس الآن. لدي ضيوف.
حدجتها لارين بنظرة متفحصة، متوقعة من جيم ان يعرّفها على الضيفتين الجديدتين. ووضح جيم للأمر الواقع:
- لارين أقدّم لك كارن جاستن وبراندي اكيس.
وتابع:
- أما هذه الممثلة الموهوبة والجميلة فهي تشاركني في التمثيل، واسمها لارين ايفنز.
ضحكت الممثلة السمراء متعمّدة التشديد على علاقتهما الحميمة:
- ممثلة وصديقة ايضاً يا عزيزي.
هزّ جيم بكتفيه رافضاً الالتزام بما تريد الايحاء به. فانقبضت اسارير وجهها مبدية امتعاضها. وما هي الا برهة قصيرة حتى استعادت لارين مرحها السابق وهي تهتف:

- براندي... انه اسم نادر في هذه الجهات.

وافقت براندي على قولها بدون ان توضح لها ان والدتها هي التي اختارت اسمها هذا.

وتلقفتها الممثلة من جديد:

- ما أغباني. تذكرت الآن. انت تلك الفتاة التي صرفت الليل في الصحراء مع جيم!

أحست براندي انها تعاملها كفتاة صغيرة. كادت ان تفقد اعصابها، واكتفت بالقول:

- نعم هذا صحيح.

تعمدت الغموض في جوابها تاركة لخيال الممثلة الخصيب وضع اللمسات الأخيرة على الصورة. رفعت لارين حاجبيها بغطرسة مقيتة. ورمقت جيم بنظرة ذات معنى قائلة وهي تتهمه:

- لماذا لم تخبرني عن جمال هذه الفتاة اليافعة؟

وافق بنعومة:

- وهل تتوقعين مني الاعلان عن مدى جمال براندي وسحرها؟

عضت لارين على شفتيها لتحاول اخفاء استيائها وقالت:

- كن حذراً يا جيم وإلا حشوت رأسها بافكار مريبة!

ومضت عيناه بخبث وحمرة الحياء تغزو وجنتي براندي مجدداً:

- حقاً! أتمنى ذلك.

اشتعل الغضب في مقلتي لارين وهي تعلن:

- انك رجل صعب المراس.

تابع هجومه امام تعاظم غضب الممثلة:

- انك حادة الذهن تتعلمين بسرعة. من الافضل لك الذهاب لشرب بعض المرطبات المنعشة ما دام مزاج المخرج لا يزال يسمح بذلك.

اجابته ببرودة وهي ترخي ذراعه دافعة بشعرها الداكن الى الوراء:

- اعتقد انك على حق.

مضت لارين في سبيلها، فاغتنمت كارن الفرصة لتهمس في اذن براندي:

- يا للهول.. اعتقدت انها ستنفجر كالقنبلة.

لم تدرك كارن ان جيم سمع تعليقها العفوي، فانبرى قائلاً:

- يتطلب الجزء الثاني من المشهد الذي نصوره ان تكون لارين في حالة من الغضب البالغ، ولا شك انها ستؤدي هذا الدور على أكمل وجه الآن.

مطت براندي شفتيها توافق على كل كلمة، في حين انطلقت كارن تشرح الفرق بين الفعل وردة الفعل وخفايا النفس البشرية.

لم يثر غضب لارين استياء جيم، فخامر براندي الشك... انه استغل وجودها لإثارة غيرة الممثلة، او لافهام لارين انه صعب المنال. فهو يمثل نموذج الرجل الذي يرفض الخضوع لأي احد. وقال جيم:

- ما دامت آلات التصوير ليست جاهزة سآخذكما الى مسرح تسجيل الأصوات واريكما بعض خفايا المهنة.

توسط الفتاتين وسار بهما نحو الشارع الرئيسي، واضعاً يده بخفة على كتف براندي. وعندما عبروا الحاجز الطويل تحلّق السياح محاولين تبيّن هوية اصحاب الامتياز هؤلاء الذين سمح لهم بالدخول على نحو طبيعي ملفت للنظر. وسرعان ما سرى اسم جيمس كوربت على الألسنة كاندلاع النار في الهشيم. وراح بعضهم يلتقط الصورة تلو الاخرى لمجرد المباهاة عند العودة والتفاخر برؤية نجم سينمائي.

بدا جيم في عالم آخر يمشي هادئاً وقوراً وكأن ما يجري حوله مسألة عادية. وفجأة عندما بلغوا حجرة البوظة، اندفعت نحوهم فتاة جميلة وهي تهتف بصوت رخيم متضرع وتلوّح بقلم وورقة:

- من فضلك يا سيد كوربت هل تتلطف بتوقيعك..

ابتسم جيم بلطف متناولاً القلم والورقة ووقّع اسمه كاملاً واضحاً، مزهواً بكل حرف يرسمه. شكرته الفتاة وكأنها احرزت اعظم أمنية في حياتها.

طوّق جيم براندي بذراعه وشدّها الى الامام بعد ان تخلّفت وراءه منتظرة. خالجها شعور بالارتياح والغبطة، فهو يوحي للجمهور انها في صحبته يستضيفها ويكرمها. ونظرت اليها كارن نظرة تقول انها تفهم كل افكار صديقتها، لكن براندي غضّت الطرف عنها.

فتح موظف باب المسرح الذي يقع في مبنى قديم ينسجم في تصميمه الخارجي مع بقية توسون القديمة. ودخلوا قاعة رحبة ذات سقف مرتفع تتدلى منه معدّات الاضاءة. كانت القاعة مقسمة الى حجرات مختلفة بواسطة ألواح خشبية ومصمّمة على نحو يوحي انها فندق كبير وسط المدينة تفتح أبوابه على الشارع الرئيسي. او تؤدي سلالمه الوهمية الى قاعات اخرى.

لاحظت براندي ان وسط الغرفة يزدحم بالطاولات والكراسي المتهشمة البالية. وتمتد في الزوايا تجهيزات اخرى معظمها للتسلية او الاستراحة.

أوضح جيم:

ـ هنا نصور المشاهد الداخلية. استخدمنا هذه القاعة في عدد لا يحصى من الافلام. لا يعرف الجمهور هذا لاننا نغير الديكور ونبدّل مواقع الابواب او نضع السلالم في اماكن مختلفة.

علّقت كارن:

ـ انها قاعة محدودة المساحة على ما اظن.

فكر جيم قليلاً وقال:

ـ ان آلة التصوير تجعل كل شيء يبدو اكبر مما هو. هذا اضافة الى تركيزها على ركن معين في القاعة لبعض الوقت مما يخلق انطباعاً ان القاعة فسيحة الارجاء. ان المشكلة الوحيدة في دور آلة التصوير انها تزيد حجم الممثلات فيخال المرء ان وزنهن اكثر مما هو. ولهذا السبب

يلجأن الى تناول وجبات خفيفة وممارسة الرجيم.

ضحكت كارن:

ـ لا ألومهن. لا أحد يريد زيادة وزنه الا اذا كان نحيلاً جداً.

تابع جيم:

ـ اما بالنسبة الى الاثاث فأعتقد انكما شاهدتما كيفية تحطم قطع الاثاث فوق الرؤوس والقناني تتطاير شظايا في الفضاء. كانوا يصنعونها من حلوى السكريات فيلجأ بعض الفنيين والممثلين الى التهامها في بعض الاحيان. ولذلك اخذوا يستخدمون مادة اخرى الآن. وهكذا دواليك.

واشار عليهما للتحرك نحو الجهة الثانية من المبنى. وقال وهم يسيرون بتمهل:

ـ هنا يقع مكتب مدير الشرطة. وتستخدم تلك الناحية لتصوير مشاهد داخل المنزل. وهي الآن غرفة طعام. لكن بمجرد تبديل الاثاث والستائر يمكن تحويلها الى اي غرفة نشاء.

ويخال المرء وهو يجيل النظر ان صحراء حقيقية تمتد امامه مفروشة برمال ناعمة تنبت فيها كل انواع النباتات والشجيرات الصحراوية.

سألت براندي مستفهمة:

ـ الا تكفيكم الصحراء الموجودة في الخارج؟

فأوضح لها جيم:

ـ نعم انها تفي بالغرض. لكن نضطر في بعض الاحيان الى تصوير مشهد ليلي. ولحسن الحظ لا نصور اثناء الليل. اذ ان المصور يضع مصفاة صغيرة فوق العدسات فيصبح المشهد ليلياً. كما ان الفنيين عبر تلاعبهم بالاضواء يصنعون اجواء غروب الشمس او شروقها. وهكذا يمكننا ان نحافظ على منظر غروب الشمس حتى يؤدي الممثلون ادوارهم في المشهد باتقان.

قهقهت كارن:

ـ كنت واثقة انك ستأتي على ذكر الطقس الممطر ايضاً.

قال جيم:

- إن ولاية اريزونا لا تعرف في الغالب سوى الحر الشديد او هبوب العواصف الرملية. وهكذا علينا خلق الأجواء الممطرة هنا.

سألته براندي بانبهار:

- ما هي الادوات التي تستخدمونها؟ خرطوم مياه ومروحة؟

عوّج زاوية فمه وهو يجيب:

- ان كلامك منطقي جداً باستثناء مشكلة واحدة. ان آلة التصوير لا تلتقط المياه المتساقطة بدقة او جودة. عندما تشاهدين هطول المطر في فيلم سينمائي، فهو عادة حليب منهمر. فالحليب يبدو بالتصوير كالماء.

حدقت كارن في وجهه تراودها الشكوك:

- انك تمزح؟

فاقسم لها جيم:

- انها الحقيقة. وللأسف الشديد رقص الممثل الشهير جين كيلي وغنى تحت رذاذ الحليب عوض المطر الحالم.

تأوهت كارن بيأس مصطنع:

- انك تدمّر كل انطباعاتي الحالمة.

تموج صوت جيم بضحكة عميقة مفعمة بالمعاني الغامضة. وانتقل سحر ضحكته الى عيني براندي. فأحست كأنه يضحك في داخلها. وما لبث ان قال:

- والآن لنذهب الى حجرة الملابس حيث تشاهدان الفنانين في غمرة العمل.

٦ - في غابة الحب

ما ان وصلتا الى حجرة الملابس حتى هرعت امرأة في خريف عمرها تعرض على كارن وبراندي بعض الاثواب التي سيرتديها الممثلون في الفيلم، وهي نسخة طبق الأصل عن ملابس تلك الفترة المحددة التي تدور فيها أحداث القصة السينمائية. وقد فصلت الأزياء وفق مقاييس كل ممثل او ممثلة حتى تبدو طبيعية الى أقصى حد.

كان الموظفون يجلسون هناك لإعداد أي زي يطلبه المخرج. لم يطل بهم المقام في تلك الحجرة بل توجهوا مباشرة الى الاسطبل الذي تربط فيه حيوانات الفيلم، وهي في معظمها من الخيول ما عدا بغلا او حماراً. وكان مزارع يقطن في الجوار يزوّدهم بكل ما يحتاجونه من

ابقار عندما تدعو الحاجة. ومن البديهي ان الجياد مدربة تدريباً متقناً ومعتادة على تجمهر الناس وجلبة الات التصوير.

لفت منظر حصان حزين في الزريبة انتباه براندي. بدا كأنه غريب عن الاسطبل ويختلف عن بقية الجياد الضامرة الرشيقة. وهالها ان تتبين معالم ضلوعه النائتة قليلاً. وبادرت لتوها تسأل جيم بلهجة صادقة:

- جيم، ما الذي ألمّ بهذا الحصان؟

أجاب:

- لا شيء اطلاقاً. انه لا يعاني من أي مرض عضال. مجرد سوء تغذية.

علقت:

- لو رأته جمعية الرفق بالحيوان لكنت في وضع حرج جداً.

تمعّج فمه بخبث وهو يجيب:

- انا عثرنا عليه هناك. لم يكن من السهل إيجاد حصان كهذا.

سألت براندي:

- لماذا تحتاجون اليه؟

فرك ذقنه بيده اليمنى لحظة قبل ان يقول:

- أمثل في الفيلم دور رجل يصيبه الارهاق وهو يمتطي حصانه في الصحراء. وهكذا لا يصل الحصان الى نهاية الطريق حتى يكون على وشك الانهيار. لهذا السبب اطلقت لحيتي كما اكتشفت بنفسك في تلك الليلة. ولحسن الحظ فرغنا من تصوير هذا المشهد وهكذا عدت حليق الذقن. انتما الآن تنظران الى الحصان نفسه. اتكأت براندي على سياج الحظيرة تحدق في الحصان بشفقة وأسف قائلة:

- وما هو مصيره الآن؟

أخبرها جيم:

- انه حيوان مدلّل الآن. ويعتقد هاري المقاول ان أمامه فرصاً كثيرة ليظهر في أفلام اخرى عندما يتحسن شكله. وهو يحظى بكل

العناية والرعاية. واذا لم يسترد كامل عافيته من المحتمل ان يبيعه هاري الى من يتولى الاعتناء به.

أعلنت متنفسة الصعداء:

- أتمنى ذلك من أعماق قلبي.

واقترح جيم:

- لنذهب ونجلس في الظل لنشرب بعض المرطبات الباردة.

كانت مجموعة من طاقم الفيلم تحتمي من حرارة الشمس في ذلك الظل بجانب الاسطبل. وتولّى جيم تقديم بعضهم الى الفتاتين واصفاً دور كل واحد منهم.

جلست براندي وكارن على رزمة من الحشيش الجاف تشربان المرطبات الباردة. وظل جيم واقفاً سانداً ظهره الى الحائط على مقربة من ضيفتيه. ولم يقطع اعضاء الطاقم حديثهم بل استمروا يتبادلون القصص حول أفلام اخرى. ولكنهم كانوا يرحبون بكل سؤال تلقيه عليهم احدى الفتاتين. وخيل لبراندي ان الملل لن يتسرب اليهم حتى ولو قضت ساعات تطرح هذه الأسئلة الترفيهية. وفجأة انتصب أحدهم على قدميه مصفقاً بكفيه وهو يهتف:

- لا اظن انهم يحتاجون الي اليوم. شارفت ساعات العمل على الانتهاء واقترب غروب الشمس.

ألقت براندي نظرة على ساعتها. كانت عقاربها تشير الى السادسة. هل من المعقول انقضاء اكثر من اربع ساعات منذ وصولها مع كارن الى البوابة الرئيسية؟ بدت الظلال الممتدة في كل اتجاه تتلألأ. ووقفت بسرعة تزيل عنها القش اليابس. وقالت لكارن:

- حان وقت ذهابنا نحن ايضاً.

تنهدت كارن وهي تنهض على مضض:

- اعتقد انك على حق.

وما ان تفرق اعضاء الطاقم في كل اتجاه حتى خطا جيم الى الامام. ابتسمت له براندي مبدية امتنانها لهذه الفرصة التي اتاحها

لها. تمعن في وجهها صامتاً وشكرته براندي ثانية. وعندما فرغت جعبتها مدّت له يدها، فتلقفها بوقار مصطنع قائلاً:

- آمل ان تكوني قضيت وقتاً سعيداً. ولا بد من اعلان أسفي لعزمكما على الذهاب بهذه السرعة!

لم تتوقع منه ان يظل قابضاً على يدها اكثر مما تتطلبه أعراف الاحترام فأجابته:

- تأخرنا كثيراً.

وعقبت كارن على مضض:

- نعم تأخر بنا الوقت. وما زال علي ايصال براندي في سيارتي الى منزلها قبل ان أتوجه الى شقتي. استمتعت بكل لحظة يا سيد كوريت ولا ادري كيف اشكرك على دعوتك لنا.

قال محتجاً:

- لا ضرورة لشكري. وافضّل لو تناديني جيم ليس إلاّ.

ارتسمت ابتسامة عارمة على وجه كارن وهي تصغي الى كلماته الودية وردّدت:

- حسناً. حسناً جيم.

حوّل اهتمامه الى براندي يجيل النظر في ضفائرها الذهبية وأنفها الشامخ، وسألها:

- الم تقودي سيارتك اليوم؟

اجابته وهي تهز برأسها:

- كلا، انها في حوزة والدي. اذ ان والدتي أرادت استعمال السيارة الاخرى للذهاب الى اجتماع ما بعد انتهاء الدروس فاستعار والدي سيارتي متوجهاً الى مدينة فينكس.

وهتف يغتنم هذه الفرصة الثمينة:

- اذن لا يليق بنا ان ندع كارن تسوق كل هذه المسافة لإيصالك الى المنزل. ان واجبي يقضي علي القيام بذلك.

اعترضت براندي على الفور، تريد افهامه انها لم تكن تبحث عن

عذر لجرّه الى هذا الوضع.

ولم تدعها كارن تكمل اعتراضها. وصاحت:

- قبلت... قبلت الاقتراح.

ردّت براندي:

- ولكن...

فقاطعها جيم:

- ولكن ماذا يا براندي؟ ان منزلك ليس بعيداً عن الطريق التي سأسلكها. وأنا مستعد لأخذك معي، فلم الاعتراض؟

اصيبت براندي بالدوار وهي تبحث عن تبرير ملطف:

- كل ما في الأمر انني لا اريدك ان تعتقد...

قاطعها بحدة:

- أفهم، افهم جيداً. واذا كنت مستعدة الآن فلنتوجه الى سيارتي. انها في الموقف الخصوصي.

تردّدت براندي قليلاً ثم هزت برأسها موافقة. كانت تضج في داخلها مشاعر متناقضة تجاهه... فهي ترغب في صحبته والاستئثار باهتمامه، وتريد تجنّبه والابتعاد عنه في آن معاً. شعرت مثل طفل رمى لعبته ثم جلس يبكي يبغي استرجاعها.

هتفت كارن فرحة:

- اذا كان كل شيء على ما يرام سأتوجه الى مكان سكني. الى اللقاء غداً يا براندي. وشكراً مرة ثانية على الجولة الممتعة يا جيم.

لوّحت كارن بيدها مودعة تحث الخطى نحو البوابة الرئيسية. ولمحت براندي جيم يراقبها بصمت قاتل. قررت الاّ تدع ميولها الطفولية تسيطر عليها هذه المرة وتدفعها الى رفض دعوته. لم يكن من السهل عليها غضّ الطرف عن طبيعته وهويته، ولكن لا بأس ستقبل الاقتراح وتستسلم للأمر الواقع. مع ذلك ظلت اعصابها في حالة من التوتر الخانق.

رفعت براندي رأسها معلنة:

- هيا بنا!

فوافق جيم بوميض عينيه الساخرتين وسار وإياها نحو موقف السيارات. أحست براندي بشيء من الضياع في غياب صديقتها كارن، تلك المخلوقة العجيبة التي لا تجد صعوبة في طرق اي موضوع. وها هي الآن تخونها الكلمات، فيسود جو مصطنع رهيب.

ألقى عليها التحية عدد من اعضاء طاقم الفيلم بدون تكلف كأن وجود براندي مع جيم مسألة طبيعية جداً. ولم تلحظ اي اهتمام حول غياب الممثلة السمراء واحتلالها مكانها بهذه السهولة.

مرت صورة لارين ايفنز في ذهن براندي بكل جوجها وحيويتها. ترى هل يصر جيم على مرافقتها الى منزلها ليزيد في غيظ الممثلة اللعوب؟ ولماذا؟ ان المجلات والصحف لا تبرز سوى علاقة ودية حميمة بينهما، مع ذلك لم يفتها ان جيم تصرف بصورة عدائية ظاهرة تجاه لارين اكثر من مرة امامها.

راحت الأسئلة تتلاطم في بحر افكارها وهي تزداد اضطراباً وحيرة. لم يسبق لها مواجهة حالة كهذه. كانت علاقتها مع الجميع واضحة، مباشرة وبسيطة. أمّا الآن فان جيم كوربت يحوّلها الى كتلة من المشاعر المتضاربة فتفقد الرؤية وتغرق في لجج من التناقضات الغامضة.

سألها جيم وهو يفتح لها باب سيارته الفخمة:

- لماذا هذا التجهم والعبوس؟

هزت كتفيها وهي تحاول السيطرة على اعصابها وتجلس في المقعد الامامي الوثير:

- هل انا متجهمة؟ كنت افكر.. حول اشياء تافهة.

أغلق بابها بدون اي تعليق وتوجه نحو مقعد القيادة. أدار المفتاح وبدأت السيارة تتقدم نحو المخرج. سألها ثانية وهو يبحث عن فجوة للانضمام الى الطريق العام:

- ما الذي يقلقك يا براندي؟

أجابته متعجبة:

- يقلقني! ماذا تعني؟

قال بلهجة واثقة:

- هل تصارعين عقدة النقص في داخلك وانت تدعين جيمس كوربت يقودك الى المنزل؟

صححت براندي عبارته بعذوبة:

- انا لا اشعر بعقدة النقص تجاهك يا جيم.

ردّ عليها وهو يضاعف سرعة السيارة:

- خامرني هذا الانطباع عندما رفضت دعوة العشاء.

كررت باستنكار:

- انا لا اشعر بالنقص تجاهك. كل ما في الامر اننا نعيش في عالمين مختلفين.

قال لها:

- شاهدت جانباً من عالمي اليوم واجتمعت ببعض الاشخاص الذين اعمل معهم. هل وجدت انك غير قادرة على معاشرتهم كأي اشخاص آخرين؟ هل يختلفون عنك كثيراً، عن الناس الذين تختلطين بهم؟

انها اسئلة مفحمة.. فكرت براندي وهي تعترف بمضض:

- كلا!

وعاجلها سؤاله:

- اذن لماذا لا تعيدين النظر في قرارك؟

سألته ببراءة:

- اي قرار؟

فظل محتفظاً بهدوئه:

- قرار تناول العشاء معي.

تمنت براندي في قرارة نفسها التراجع عن رفضها. ارادت ان

تقول نعم لجيم هذه المرة. لكن الكلمات تجمدت في حلقها. انها تدرك مدى عنادها وقوّة رفضها في الماضي. اكتفت بالنظر خارج شباك السيارة وهي تكاد تحترق غيظاً من طبيعتها المكابرة.

تركها جيم وشأنها متفاديا انتزاع اي جواب منها. وخفف سرعة السيارة ثم انعطف نحو طريق جانبي وأوقف المحرك. تطاير الشرر من عينيها وهي لا ترى مبرراً لايقاف السيارة في هذا المكان المعزول وصاحت:

- لماذا توقفنا هنا؟

فتح الباب وترجّل يتحدّاها قائلاً:

- انه مكان هادىء ملائم للسير على الاقدام.

تلعثمت براندي وهي تحاول فك لغز هذه المفاجأة:

- ولكن. . . أهلي يتوقعون عودتي الآن. علي إعداد طعام العشاء في هذا الوقت.

اجابها بتهكمه المعهود:

- لم اقترح قضاء الليل بكامله هنا، بل التنزه قليلاً. انك امرأة ناضجة الآن. . . لا اعتقد ان والديك سيقلقان عليك اذا ما تأخرت ساعتين عن الوصول. أمّا بالنسبة الى طعام العشاء فثقي تماماً ان والدتك ستدبّر الأمر بدون مشقة.

لم تجد براندي فائدة من مجادلته. استسلمت للأمر الواقع وترّجلت من السيارة. انتظرها لتنضم اليه، ثم انطلقا سيراً على الاقدام.

كانت رمال الصحراء لا تزال دافئة رغم اقتراب غروب الشمس. وتكررت امامها مناظر اشجار الصبار السامقة والأجاص البرّي ونباتات المريمية.

خيم الهدوء بينهما وهما يمتعان الانظار بأزاهير الشجيرات المبرعمة، ويتنشقان عبيراً عابقاً تحمله أجنحة النسيم العليل. كان كل ما يحيط بهما ينبىء باقتراب فصل الربيع وبهجته ونضارته. مشيا

في تلك الغابة السحرية التي تمتد فيها اغصان الصبار كأيدي العمالقة، او كأعمدة هيكل قديم نبتت في جدرانه الاعشاب والطحالب والأشواك الحادة.

ولأشجار الصّبار نكهة عجيبة في تلك الأصقاع من ولاية اريزونا. وتتميز بقدرة غريبة على التشبث بالأرض الصحراوية رافضة الذبول او الخضوع لعناصر الطبيعة المعادية. ويمتدّ عمر بعضها الى فترة تأسيس الولايات المتحدة نفسها. وغمرت براندي أحاسيس من الرهبة والخشوع والاطمئنان وهي تفكر في هذه الشجرات الباسقة الاغصان. وتمتمت:

- انها غابة تحفظ ذاكرة الأجيال!

اعادها جيم الى ارض الواقع:

- أعتقد انك لا تشعرين بالندم الآن؟

رمقته لحظة ثم اجابت:

- لا لست نادمة. وانا لم امانع منذ البداية!

سألها مستفهماً:

- لم تمانعي؟

فاعترفت بابتسامة رقيقة:

- مانعت قليلاً.

هدرت سيارة تنطلق مسرعة على الطريق العام وكأنها تذكرهما بالمدنية وبحضارة رغبا في الهروب منها. وعز على براندي ان تصحو من استسلامها لجمال الطبيعة. . .

امسك جيم بيدها مقترحاً عليها التقدم نحو بقعة جديدة، وعلقت بصوت حالم:

- يحيرني بعض الناس الذين لا يحبون الصحراء. حتى صديقتي كارن تؤكد ان الصحراء قبيحة وقاسية وقاحلة.

رد جيم بعفوية:

- انها مسألة ذوق ومزاج حسب اعتقادي.

لم يكن جوابه شافياً. انها تريد معرفة رأيه بالصحراء. الويل له اذا ما ابدى عدم اهتمامه بهذا الجمال الطبيعي الأخاذ! فقالت:

- وهل تحب الصحراء يا جيم؟

جاء جوابه واضحاً وبسيطاً:

- نعم. احبها.

اعلنت براندي وعيناها تلتهمان المناظر الخلابة التي اضحت جزءاً من حياتها منذ نعومة اظفارها:

- لا اتمنى العيش في اي مكان اخر من العالم.

فوافق قائلاً:

- هذا هو شعوري بالضبط.

رمقته متعجبة:

- ولكنك لا تعيش هنا.

ابتسم منبسط الاسارير:

- من قال لك ذلك؟ اقطن في هذه الناحية منذ سنين طويلة. ولكنه سر لم افش به لأحد.

الحت عليه بصوت يخالطه الشك:

- ولكن اين تقطن؟ لا يعقل انك تسكن في هذا الجوار!

هز كتفيه:

- اذا كنت تقولين اني لا اقطن هنا، فليكن.

وادركت فجأة انه صادق الكلام وهي تتمعن في وجهه فقالت:

- يبدو ان كلامك صحيح. انك تعيش فعلاً في اريزونا.

واومأ برأسه موافقاً.

تابعت براندي تحاول اخفاء لهفتها حول معرفة مكان سكنه:

- ليس من الضروري ان تخبرني اين تسكن بالضبط.

اجابها مشبعاً فضولها:

- لا مانع لدي من اخبارك. لا اعتقد انك ستذيعين الخبر، وانت تعلمين تماماً مدى حرصي على حياتي الخاصة. ان بيتي في مزرعة

سوارو.

فغرت فاها مشدوهة مستنكرة:

- ولكن المزرعة تملكها شركة كبيرة في كاليفورنيا!

وافق جيم بهدوء:

- هذا صحيح. كل ما في الأمر انني املك اسهم الشركة كلها.

ضحكت لبرهة قصيرة محاولة استيعاب هذه المفاجأة الطريفة:

- لا ادري ماذا اقول!

ومد لها حبل الانقاذ:

- لماذا لا تقولين... مرحباً يا جار؟

انفرجت اساريرها مادة يدها تصافحه باغتباط:

- مرحباً يا جار...

وظل ممسكاً بيدها وهي تتابع:

- لكن كيف تستطيع اخفاء وجودك هناك؟

اجابها:

- يوجد مطار صغير قرب المزرعة، فأهبط واقلع بطائرتي دون لفت انتباه عامة الناس.

واثارت نقطة اخرى:

- ولكن الذين يعملون في المزرعة يعرفون السر كذلك؟

قال هازئاً:

- نعم. مع ذلك انا الذي يدفع اجورهم، فاشتري صمتهم ايضاً.

تأوهت براندي:

- لا شك انهم ادوا مهمتهم على اكمل وجه!

فاعترف لها:

- حصلت بعض التجاوزات في السابق مما اثار اللغط هنا وهناك. ولكنني قضيت عليها في المهد.

مالت برأسها الى الجهة اليسرى:

- ولا تساور الشكوك احداً حول سكنك هناك؟

رد عليها:

- هل ساورتك الشكوك انت؟

وقالت كأنها تجيب نفسها:

- اعتقدت ان صاحب المزرعة دعاك للبقاء هناك اثناء تصوير الفيلم.

تراقصت عيناه بخبث واعلن مقهقهاً:

- هذا ما تبادر الى ذهن الجميع. وهذا صحيح اذ اني وجهت دعوة الى نفسي للعيش هناك.

لاحظت براندي انه لا يزال يمسك بيدها، فقالت وهي تصارع مشاعرها الدفينة:

- اذن كنت جاري كل هذه المدة!

ظل صامتاً. وبدأت الكلمات تهرب منها. لم يعد ثمة ما يقولانه. المساء الحالم، والأشجار المبرعمة ورمال الصحراء الدافئة تولت وحدها النطق بألف لسان ولسان. جمعتهما الطبيعة في هذا المكان المقفر ليقفا وحيدين يصغيان الى حديث العظمة والجلال، والقوى الخفية المنسابة في كل ذرة من هذا الفضاء الفسيح. انها لحظات تبادر على الانسان فجأة فيخال الأرض اجنحة تصفق حاملة القلب والمشاعر والعواطف الى عالم آخر لا اثر فيه للضوضاء او الكذب او الدمار.

ما اروعه وهو يعانقها هنا فتغرق في دفء الأحلام الوردية، وتدفن كل همومها وتفاهات ايامها الرتيبة ولياليها الموحشة.

وبينما براندي تهيم هكذا بين الحلم والحقيقة والخيال والواقع سمعته يسألها بصوته المألوف:

- لا تقولي لي مرة ثانية انك ترفضين تناول العشاء معي!

واحتارت براندي كيف يخامره الشك حول نواياها الآن، ففتحت فاها قائلة:

- انا...

ولم يدعها تكمل عبارتها، بل حذرها قائلاً:

- لن اتركك حتى اسمع كلمة نعم!

اسدلت براندي اهدابها وكل جارحة في جسمها تقول نعم. اطمأن قلبه وهو ينتزع منها الموافقة قائلاً:

- اذن هيا بنا الى السيارة.

طوقها جيم بذراعه وشرعا بالسير في طريق العودة. جلسا كل في مقعده داخل السيارة لحظة خالتها براندي دهراً. لم يدر جيم المحرك بل نظر اليها ليتكلم بهدوء:

- ان الشهرة او النجاح لا يغيران شيئاً من طبيعة الرجل يا براندي. فهو يحتفظ بكل صفاته السابقة. لكن اخطاءه او نقاط ضعفه تأخذ حجماً غير طبيعي، وينطبق الأمر نفسه على حسناته. ان الانسان لا يتغير. ان ما يتغير هو الأسلوب الذي يعامله به الآخرون من اصدقاء وغرباء.

وتابع وعيناه تخترقان اغوارها:

- هل تفهمين ما اقول؟

سمرت براندي نظرها على عينيه السوداوين. وشعرت بالسعادة تغمر قلبها وهي تفكر في معاني كلماته. ثم اردفت:

- نعم، افهم تماماً. تريد القول انك الانسان الذي اجتمعت به في الصحراء، وستظل هكذا. ان خيالي وحده هو الذي غير صورتك الحقيقية.

لم يتابع خط تفكيره الفلسفي. اغمض عينيه هنيهة، وتنهد قائلاً:

- انا جيم كوربت اعلن رغبتي في سماعك مرة ثانية تعلنين قبولك تناول العشاء معي ليلة السبت.

تماوج صوتها بعبق بدفء الصحراء المترامية:

- احب ان اتناول معك طعام العشاء ليلة السبت.

واعلن وفمه يزداد صرامة:

- لن اسمح لك بتغيير رأيك، وانت تدركين ذلك! سأقوم باختطافك ان دعت الحاجة.

ابتسمت براندي بحياء:

- اقسم لك اني لن اغير رأيي.

وتمتم وهو يدير محرك السيارة:

- اترك الخيار لك، وسنرى.

استرخت براندي في مقعدها والسيارة تتوجه الى الطريق العام. واستحوذت عليها مشاعر الغبطة الفائقة والتوجس المربك. ادركت في قرارة نفسها انها تهيم عشقاً بجيمس كوريت. نظرت اليه صامتة تتأمل وجهه الصارم الوسيم والذي لوحته الشمس بلون قرمزي. وغمرتها طمأنينة خفيفة الأجنحة، ملائكية الطيف.

ورغم انهماك جيم بقيادة السيارة لاحظ تمعنها في محياه. لم ينبس ببنت شفة بل امسك يدها بلطف ولم يرخ قبضته طوال الطريق.

لم يوقف المحرك عندما بلغا مدخل المنزل. واخذت عيناه تلتهمانها التهاماً.

ثم قال:

- هل توافقك الساعة السابعة والنصف يوم السبت؟

وافقت براندي بسرعة:

- نعم السابعة والنصف وقت ملائم.

تردد جيم قليلاً:

- ربما تأخرت قليلاً. اننا نصور بعض المشاهد يوم السبت، فاذا لم اصل في الوقت المحدد فلا تشعري باليأس.

طمأنته:

- سأنتظر لا تقلق.

قال ليتأكد من كل كلمة تقولها:

- لا سبيل الى التراجع يا براندي لأنني سأكون هنا. واذا اضطررت للتأخر سأتصل بك هاتفياً.

اومأت برأسها:

- حسناً..

ودعها بعبارات حارة تفوح منها رائحة انتصار باهر. وقبل ان تتوارى داخل المنزل سمعته يكرر:

- لا تنسي. السبت الساعة السابعة والنصف!

وكأنها تستطيع ان تنسى!

٧ ـ أحضان المرارة

اضاءت غرفة الجلوس أنوار سيارة تتقدم من مدخل المنزل. وهتفت براندي وهي تتأمل شكلها في المرآة وابتسامة والدتها تطاردها:

ـ ماما، إنه هنا. كيف أبدو؟

لم يكن من السهل عليها اختيار الثوب الملائم ذلك المساء. هل ترتدي فستاناً فائق الاناقة ام مجرد قطعة ملابس متوسطة الاناقة؟ وها هي الآن تقف امام المرآة بثوب أبيض شاحب يبرز حسن قوامها وكتفيها وذراعيها اللتين لوّحتها أشعة الشمس. وتدلّى من عنقها عقد لؤلؤي تمزج فيه الألوان الفيروزية كعينيها تماماً. وبانت أذناها

تزينها حلقتان تزهوان فوق العنق الأهيف.

أكّدت لها لينورا ايمس:

ـ انك رائعة الجمال.

أجابتها براندي وهي تسمع صدى انغلاق باب السيارة بقوة:

ـ أتمنى ذلك.

وحذرتها أمها مؤنبة:

ـ براندي. ما هذا المراء؟

طافت ابتسامة رقيقة ثغر براندي. كانت تقرأ أفكار والدتها. فهي تريد ان تقول ان جيم اكبر منها سناً واكثر خبرة ويقود حياة مختلفة عن حياتها. وهو علاوة على ذلك، نجم سينمائي ذائع الصيت. ان والدتها تريد تحذيرها من التورط معه. لكن براندي تعرف كل ذلك، فخاطبت والدتها وهي تعي عمق مشاعرها وصدقها:

ـ لا تهلعي يا أمي، لم أعد طفلة صغيرة.

وما ان رن جرس الباب حتى عاد الاضطراب يسيطر عليها. اصطكت ركبتاها وهي تفتح الباب الأمامي، تبتسم بقلب مرتعش امام الرجل الطويل القامة، منتصباً امامها بسترته السوداء وقميصه الحريري.

راح يتأملها بتمعن من اخمص قدميها الى اعلى رأسها وخفقات قلبها تتسارع توجساً. لمحت في عينيه بريق الاعجاب فاستعادت هدوء اعصابها. مدّت يدها وهي تسحبه الى داخل المنزل وهتفت كأنها تنبه عن معنى الانتظار القاتل:

ـ لم تتأخر عن الميعاد سوى ربع ساعة.

قال بكلمات خافتة:

ـ انك ساحرة الجمال.

وقفا هنيهة يتجاذبان أطراف الحديث. وتمنّت براندي لو تحولت عيناه الى بحيرة تغرق في لجّتها وتستقر هناك. غاب عن بالها انهما ليسا وحيدين في غرفة الجلوس الى ان نبّهها سعال والدها.

اشتعلت وجنتاها بحمرة خجل رقيق وهي ترخي يد جيم. وانفرجت اساريره قليلاً فقالت له براندي:

- سأحضر حقيبة يدي ثم نذهب.

أجابها جيم وهو يخطو بتثاقل صوب والديها:

- لدينا متسع من الوقت.

وأردف مصافحاً والدها:

- يسعدني ان أراك ثانية.

تبادل التحية والاسئلة الودية الرسمية مع الأم والأب في حين كانت براندي تجلب حقيبة يدها. ثم عادت فخورة تتخذ مكانها قرب جيم، فسألها:

- هل أنت جاهزة؟

هزت رأسها متمنية لوالديها ليلة سعيدة. وقال جيم لأمها وهما يخرجان:

- اطمئني يا سيدة ايمس ان ابنتك في أيدٍ امينة.

ابتسمت والدتها مستغربة وهي تنظر الى براندي، ولكنها لم تعلّق بشيء. وعندما أصبحا في الخارج سألته براندي:

- كيف عرفت ان أمي قلقة حول ذهابي معك؟

ابتسم جيم ممازحاً:

- انها ردّة فعل طبيعية. لا تنسي سمعتي لدى عامة الناس.

أجابته بخفة:

- هذا صحيح. ترامت الى مسامعي قصص كثيرة عنك وكيف تتخلى عن علاقاتك العاطفية بسرعة خيالية.

فتح لها باب السيارة قائلاً:

- هل انت مشغولة البال؟

فضحكت وهي تلمس دقة تعبيره:

- كلا. حتى الآن على الأقل.

صعدت الى مقعدها وهو يطمئنها:

- لا حاجة للقلق يا براندي.

ما الذي يعنيه، فكرت براندي... هل يريد القول ان الامور ستختلف من الآن فصاعداً؟ كانت تتلهف للتمتع بكلّ دقيقة تقضيها معه.، فقررت عدم الغرق في التساؤلات المرهقة. وخاطبها جيم وهو يتوجه بالسيارة صوب توسون القديمة:

- هل أنت جائعة؟

- أتضوّر جوعاً، قالت وهي تسأله: الى أين نتوجّه؟

ذكر اسم مطعم عرفت موقعه لتوّها مع انها لم تزره سابقاً. وعندما لم تعلق بشيء، استفهم:

- ما بالك؟

أجابت بسرعة:

- لا شيء. لا شيء.

ثم اردفت:

- كنت أفكر اننا سنذهب الى مزرعتك لتناول الطعام. لم أكن متأكدة من رغبتك في التوّجه الى مكان عام.

قال يتهمها مقطباً حاجبيه:

- هل اعتقدت اني اخجل من الظهور معك امام الناس؟

احتجّت قائلة:

- لا. اعتقدت انك تفضل خلوة هادئة.

وكاد يغمى عليه من الضحك. فسألته براندي متعجبة:

- ما الذي يضحكك الى هذا الحد؟

نظر اليها بعينين تشعان اعتداداً بالنفس:

- لأنني اقنعت نفسي بعزوفك عن قضاء أمسية معي في البيت وبدون أحد آخر.

اشتعلت وجنتاها بلون قانٍ يزيده احمراراً خفقان قلبها المتواصل:

- الحقيقة انني اشعر بالضعف عندما نكون وحيدين.

أجابها مداعباً:

- هذه المرة لن اجيب.

فكر هنيهة. قرر ان عبارته لا تشفي الغليل بل ربما ادت الى اساءة فهمه. اذن فليتابع حواره السابق:

- هل يرعبك وجودك معي وحيدة؟

تنهدت تعبّر عن صدق مشاعرها:

- كلا. ان وجودك معي يسعدني كثيراً.

فارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتيه:

- ليتك لم تنطقي بهذه الكلمات!

سألته تريد سبر غموض افكاره:

- لماذا؟ لماذا؟

ورمقها بنظرة مفعمة بألف معنى ومعنى:

- لأني لا احبّ اللف والدوران في هذه المسائل. وانت ما زلت في اول الطريق.

فكرت براندي صامتة في جوابه المقنع. انه على حق فهي لا تعرف كيف سيتطور حبها له بعد. ومنذ ايام قليلة كانت ترفض رؤيته ثانية، ربما لانها ادركت في قرارة نفسها امكانية نشوء علاقة حب بينهما.

وما هي الا دقائق معدودة حتى كانت السيارة تتسلق المنعطف الجبلي. فلمحا مدينة توسون تتلألأ اضواؤها الخافتة في ذلك المساء. وبدت سلسلة الجبال التي تحيط بالمدينة تلقي بظلالها الطويلة كالأشباح الماردة.

غيّر جيم الحديث بلباقة:

- هل زرت هذا المطعم من قبل؟

قالت:

- كلا، هل زرته أنت؟

فطمأنها:

- نعم. انهم معتادون هنا على استقبال الشخصيات المعروفة،

ولذلك لن نلفت الانتباه عندما نصل.

كان ذلك صحيحاً جزئياً كما اكتشفت براندي في وقت لاحق وهما يدخلان المطعم. اذ تعرّف الجميع على جيم توا. حتى لو لم يكن ممثلاً ذائع الصيت، فإن شكله وحده يكفي ليلفت الانتباه.

تقدم منهما المدير المسؤول وهو يحني رأسه باحترام بالغ:

- ان وجودك شرف عظيم لنا يا سيد كوربت.

اكتفى جيم بابتسامة باهتة وقال مشدداً:

- نريد طاولة في ركن هادىء من فضلك.

توّجها الى ركن معزول وفق مشيئة جيم. ولاحظت براندي ان الزبائن الآخرين يتعقبونهما بنظراتهم الفضولية، لكأنهم يعلنون عن ترحيبهم بجيم صامتين بدون طقطقة الكاميرات او التوسل للحصول على توقيعه كما حدث في توسون القديمة. ادركت الآن معنى كلماته عندما قال لها ان وصولهما لن يلفت الانتباه في المطعم.

فاتها ان الزبائن يتمعنون فيها هي الاخرى وباهتمام مماثل. لم يكن الاهتمام بها نتيجة وجودها مع جيمس كوربت ليس الاّ، ولا بسبب تشابك أيديهما وهما يتوجهان الى الزاوية المعزولة. لا. انها محط اعجاب الجميع لوجودهما معاً كثنائي يثير الشوق الى إجراء المقارنة بينهما...

كان جيم طويلاً، عريض المنكبين يطفح رجولة، في حين تضاءلت قامة براندي وهي تمشي بجانبه ضامرة القامة، وشيقة، وتضج أنوثة. ويبرز ثوبها الأبيض البسيط وشعرها الأشقر مقابل سواد عينيه وشعره وسترته الأنيقة.

تقدّم جيم نحو الطاولة يسحب كرسياً لتجلس عليه. كان ركناً خافت الاضواء يعبق جوّه بلقاء العشاق وقصص الغرام والحب. وحاول ان يمسك يدها وهما يتجاذبان أطراف الحديث، فاشارت بلباقة وعذوبة:

- ان عيون الناس تطاردنا. ستكوي الغيرة قلوب كل المعجبات.

وردة مبتسماً:

- وستكوي الغيرة قلوب كل الرجال أيضاً!

فتحت براندي لائحة الطعام لتجنّب نظراته وقالت:

- بلا مبالغة!

أجاب جيم بهدوء:

- انا لا أبالغ اطلاقاً. رأيت كيف يحدقون فيك ونحن نمرّ امامهم. لا يوجد رجل في هذا المطعم الاّ ويتمنى اقتناص مكاني.

رمقته باستغراب فائق لكنه دفن رأسه في لائحة الطعام. ترى هل يواصل تهكمه المعهود ام يحاول اثبات مواهبه المتعددة؟

واخيراً حاولت انتزاع جواب منه:

- اظن انني أثرت فضولهم وهم يرونني في صحبة الممثل الشهير جيمس كوربت. هز جيم رأسه:

- ممكن.

ولكن افكاره ذهبت الى أبعد من ذلك!

قطع مجرى الحديث وصول النادل يبتسم بتهذيب منتظراً تلقّي طلبات جيمس كوربت الذي مال بظهره الى الوراء وكانت كتفه تؤلمه قليلاً. ولاحظت براندي للمرة الاولى ملامح الارهاق ترتسم حول فمه. مضى النادل في سبيله بعد ان سجل قائمة طويلة من أصناف متعددة. وبادرته براندي:

- هل تعبت كثيراً هذا اليوم؟

قال متأوها:

- هل لاحظت ذلك؟ كان يوماً مرهقاً قضيناه في الركض على السلالم صعوداً وهبوطاً، وفي تحطيم الابواب والتمرغ في الاوساخ.

واردف يسخر من نفسه:

- اكتشفت قوة عضلاتي التي أهملتها طويلاً. كان كأي يوم عادي في المكتب!

وافقت براندي مبتسمة:

- هذا ما يبدو لي.

واضافت لتثير غيظه:

- ويبدو لي ايضاً انك في حالة يرثى لها.

أجابها بدون اي تحسّر في صوته:

- لم أعد في ربيع شبابي!

عاد النادل بأطباق المقبّلات. وتمهلت براندي وهي تنتظر انصرافه، ثم قالت:

- يخيّل الي انك شيخ عجوز! كم هو عمرك... ثلاثة وثلاثون؟

أجاب يصحح معلوماتها:

- لم تمعني النظر في سيرتي! ان عمري أربعة وثلاثون عاماً.

صاحت براندي هازئة:

- انك حقاً شيخ عجوز!

وفجأة رأت براندي السمراء لارين ايفنز تقترب منهما وهي ترتدي فستاناً مزركشاً يكشف مفاتنها الأخاذة. تقدمت بخطى وئيدة يتماوج شعرها الداكن وتتراقص عيناها الحالكتان.

ما أصعب هذه اللحظة وبراندي تتضاءل امامها جمالاً وقامة وحسناً...

وها هو جيم ينهض واقفاً على قدميه بدون ان يكشف عن مشاعره الحقيقية. لم تعرف براندي ما اذا كان مندهشاً، مغتبطاً او منزعجاً من وجود الممثلة المفاجىء. توجّهت لارين مباشرة نحو جيم غير عابئة بنظرات زبائن المطعم، وربما بسبب وجود هذا الجمهور، وطوقته بذراعيها وهي تطبع قبلة على خده. وخلّفت وصمة حمراء على بشرته القاتمة.

صرخت لارين بزهو واحتفاء مشيرة الى العلامة القرمزية:

- انظر ماذا فعلت؟

ثم مدّت يدها الى جيبه وأخرجت منديله تمسح به خده بأسلوب الزوجة العفوي وهي تطمئنه مربتة على كتفه. وكانت براندي تتمزّق

غيظاً. وعندما همّت بوضع المنديل الابيض في جيبه تلقفه جيم من يدها وأعاده بنفسه قائلاً بجفاف:

- شكراً يا لارين.

أجابته معاتبة:

- انا مستاءة منك جداً يا عزيزي لأنك غادرت بدون كلمة.

هدأ جيم أعصابها قائلاً:

- تأخرت في مهمة ضرورية.

وأردف محوّلا انتباهها الى براندي:

- الا تتذكرين الآنسة ايفنس؟

فحدجت براندي بعينين جاحظتين:

- طبعاً اتذكرها. اسمها براندي أليس كذلك؟ انه اسم لا انساه!

تركت بكلماتها انطباعاً معناه انها لولا الاسم لما تذكرت لقاءها بها. وقالت براندي بتهذيب:

- هذا صحيح انسة ايفنز.

فألحّت عليها وهي ترمق جيم:

- ارجوك ان تناديني لارين بدون تكلف. ان اشياء كثيرة تجمعنا معاً!

أدركت براندي انها تعني جيم، القاسم المشترك الذي تتوخى كل منهما الاستئثار به، وتبادر الى ذهنها في تلك اللحظة الحرجة انها غير قادرة على منافسة لارين ايفنز. فهي تخوض معركة خاسرة سلفاً.

والتفتت لارين نحو جيم تقول متملقة:

- اما أنت يا جيم فقررت ان اصفح عنك هذه المرة رغم خروجك الليلة بدون انذار. أعرف جيداً مدى دقتك في مواعيدك، خاصة مع الفتيات. وطالما أنك اتيت الى الحفلة التي أقمتها فلن أؤنبك على القلق الذي سببته لي الليلة!

نظرت براندي بعينين حائرتين الى جيم والاسئلة المرهقة تتدافع في ذهنها. ما الذي تعنيه لارين؟ ما هي هذه الحفلة؟ ان جيم لم يذكر

لها شيئاً من هذا القبيل...

قال بثقة واعتداد بالنفس:

- هل حفلتك هذا المساء يا لاري؟ اذكر انك تحدثت عن الموضوع، ولكن المسألة كلها غابت عن ذهني للأسف الشديد.

أعلنت الممثلة وابتسامة خفيفة ترتسم على وجهها كأنها تدرك سبب نسيانه:

- انك قليل الحشمة يا عزيزي. تعرف جيداً قولي لك انا سنلتقي جميعاً هنا الليلة.

جاءت العبارة الاخيرة لتضاعف حيرة براندي. ان القصة مع ذلك واضحة المعالم. لم يقع اختيار جيم على هذا المكان بالصدفة. بل تعمّد ان تراه لارين مع براندي وهو يعرف منذ البداية اين ستكون، وبغض النظر عن رغبته في الانضمام الى الحفلة ام تجاهلها.

هتفت لارين:

- الآخرون في الغرفة المجاورة. لماذا لا تنضم الينا، وانت يا براندي ايضاً؟

رفض جيم بلطف:

- لا. شكراً. انا وبراندي نفضل البقاء هنا في هذا الركن الهادىء.

ردّت لارين بقهقهة رنانة:

- ما هذا الهراء؟ كل فتاة تحب حضور الحفلات الصاخبة. أليس كذلك يا براندي؟

كان قراراً صعباً. لم تعرف براندي بماذا تجيب تمنّت لو ان جيم يهرع الى انقاذها، لكنه كان يتمعن في قسمات الممثلة السمراء. هل تقبل ام ترفض؟ انها تأبى الانجرار الى نقاش يخصها وحدها. آلمها تصرّف جيم على هذا النحو، فهو يستغلّها بأسلوب جارح لا يطاق.

وهكذا رفضت براندي اعطاء جواب قاطع وهي تفكر ان جيم غرر بها وحملها على تصديق نيّته في قضاء سهرة هادئة معها وحدها.

اكتفت بالقول وهي تلقي نظرة خاطفة على جيم:
- لا ليس من الضروري ان تفضل كل الفتيات الحفلات الصاخبة!
تجاهلت لارين جوابها وهي تلحّ عليها:
- ولكن فتاة شابة مثلك لا بد ان تحب الحفلات.
وتابعت توجه كلامها الى جيم:
- أعتقد انها تنتظر قرارك. فهي لا تريد اغضابك باتخاذ القرار الخاطىء.
حلق في براندي متجهم القسمات ليسألها:
- هل تودين الانضمام الى الحفلة؟
ارادت براندي ان تصرخ بأعلى صوتها رافضة، معلنة رغبتها في البقاء حيث هي، معه وحده. ولكن كيف يمكنها قول ذلك؟ وهل من الضروري ان تفصح عن مشاعرها وهي واضحة لا لبس فيها؟ قالت تهز بكتفيها مشيحة بنظرها، غاضبة ومستاءة ومرتبكة في آن معاً:
- لا مانع لدي.
هتفت لارين مزهوة:
- ارأيت انها تريد ان تأتي، لكنها تخجل منك!
قطّب جيم حاجبيه وهو يومئ لبراندي لكي تنهض من كرسيها:
- اذن لننضم الى الحفلة هيا بنا.
غمرت وجه لارين موجة الانتصار الماحق وهي تتقدمهما الى الغرفة المجاورة. وقبض جيم على مرفق براندي كأنه يعاقبها. وتمهل ليبلغ النادل عن اضطرارهما للانضمام الى بعض الاصدقاء، فاضطرت براندي لانتظاره. وهكذا وجدت لارين نفسها تتقدمهما بخطوات عديدة.
وغمغم صوت جيم فوق أذن براندي:
- لم يكن من الضروري التردد في الانضمام الى الحفلة.
بادرت براندي الى ردّ تهمته الثابتة:

- لو اردت الانضمام الى الحفلة لقلت ذلك بوضوح. انّ من يريد الانضمام هو انت وليس انا.
حدجها قائلاً:
- أنا؟
فدفعت رأسها الى الوراء تحدق أمامها مباشرة وقرطاها يتأرجحان فوق عنقها:
- أتينا هنا لهذا السبب أليس كذلك؟
استعاد مرحه وهو يضحك برقة:
- كدت أنسى صراحتك الباهرة. اذن لا مفرّ من الذهاب.
سألته:
- أتعني القول انك لم ترغب في الذهاب؟
قال جازماً:
- لم تعجبني الفكرة كثيراً. كنت أفضّل قضاء سهرة هادئة معك.
وصلا الى قاعة الحفلة. وانهالت على جيم التحيات من كل جانب مما فوّت على براندي متابعة الحديث معه وحمله على توضيح عبارته. في اي حال، انه حتماً لن يقول لها ان خروجه معها هدفه إثارة غيرة لارين خاصة وهو يعرف مدى تعلقها به.
ضمت القاعة حوالى عشرة اشخاص اضافة الى جيم وبراندي. او هكذا خيل اليها وهما ينتهيان من تلقي عبارات الترحيب. واكتشفت براندي ان الرجال اكثر عدداً من النساء. نساء جذابات بعض الشيء، ولكن ليس الى الحد الذي يشكّل منافسة فعلية للارين. وكأنها هي التي اختارت هذا العدد المحدود بالنسبة الى الرجال، وذلك بغية الاستئثار بأكبر اهتمام ممكن.
لم تتعرف براندي على أحد من مجموعة الرجال أو النساء. ولكنها شعرت ان الجميع يعرف كل ما يدور بين جيم ولارين. بدأ الاحساس بالضيق يجتاحها. واذا بهذه الاجواء المصطنعة تكاد تخنقها خنقاً. كان عزاؤها الوحيد قبضة جيم تشدّ على يدها مشجعة رغم

محاولات لارين الماهرة لفصلها عن بعضهما.

ظلت براندي جالسة بجانب جيم لكن لارين اختارت مقعداً عن يمينه، متكئة بيدها على ذراعه على نحو عفوي. وانطلقت الممثلة الجذابة تستفيض في الحديث عن تصوير الفيلم والمشكلات الفنية الطارئة، وهي مواضيع تجهلها براندي تماماً. اكتفت بالاصغاء متحينة الفرصة للمشاركة قدر الامكان.

جلس بجانبها رجل بدا انه أتى الى الحفلة بمفرده. كان في مقتبل العمر لا يكبرها بأكثر من سنتين او ثلاث. قال وهو يلقي التحية وفي عينيه الزرقاوين بريق حزين:

- مرحبا.

أجابته براندي متذكرة انها صافحته عند دخولها:

- مرحبا كيف الحال؟

سارع يقدم نفسه وهو يلاحظ عدم اهتمام براندي به:

- اسمي برايس كونفر، وانت براندي!

ابتسمت معتذرة والتفتت الى جيم لترى ما اذا لاحظ وجود هذا الرجل بجانبها. فوجدته يصغي بشغف الى حديث لارين. تابع برايس كونفر يعلن بصوت أقرب الى الهمس:

- لا اتوقع منك ان تتذكريني. ولكنك لفت انتباهي عندما كنت تزورين موقع التصوير مع جيم.

هزت براندي كتفيها يغمرها التلاشي والارتباك:

- آسفة. لم أعرفك. كان المكان يعج بالناس.

وغرقت في تلاطم افكارها وكأنها مركب تتقاذفه الرياح العاتية. ها هي تجلس بجانب جيم وتعلم أنه لم يرغب بالمجيء الى الحفلة ومع ذلك تستحوذ لارين على اهتمامه الكامل ويتجاهلها هي، ولا يبالي بوجودها وعواطفها.

أجابها برايس بصوت ممزوج بالمرارة، ومع انبعاث انغام موسيقية حالمة من الزاوية المقابلة:

- لا بأس. هل ترقصين؟

كادت ترفض بقوة، ولكنها لمحت لارين تلفّ يدها حول معصم جيم ويغرقان في حديثهما حول السينما والتصوير والاخراج. ترى هل سيلاحظ جيم غيابها من جواره؟ قررت ان تقبل عرض برايس للرقص معه. ونهضت على قدميها مبتسمة وهي تلاحظ تجهم الاستغراب يرتسم فوق وجه جيم، أسرع برايس مبرراً الموقف وهو يضع ذراعه حول كتفي براندي:

- سألت براندي ان ترقص معي. هل لديك مانع يا جيم؟

لم تمهل لارين جيم ليجيب بل قالت:

- طبعاً لا مانع لديه!

واستدار برايس كونفر ممسكاً بيد براندي حيث وجدت نفسها ترقص بين ذراعيه مقاومة محاولاته للالتصاق بها، مركزة انظارها على جيم ورفيقته. لاحظ برايس انها تشعر بالذنب فقال لها:

- الافضل لك نسيان جيم، انه ملك لارين الخاص.

حاولت براندي الظهور بمظهر اللامبالي:

- حقاً؟ وهل يعرف هو ذلك؟

أجابها برايس بابتسامة ساخرة:

- الكل يعرف ان علاقتهما تمر بمرحلة صعبة الآن تتخللها مشادات كلامية عنيفة. هذا ما يسمى بصدام الشخصيات القوية المتشابهة. لكن النتيجة واضحة... كوربت هو الذي سيفوز في النهاية. لا بد لها من اجتياز هذه المرحلة العابرة ككل العشاق يمكنك القول انها نوع من الطقوس الغزلية.

تجمدت الدماء في عروق براندي، وأجابته:

- هكذا اذن؟ وما هو دوري في كل ذلك؟

كاد رأسه يلامس ضفائر شعرها وهو يعلن:

- انت الفتاة الجميلة الساذجة. اي نقيض ما تتصف به لارين من جاذبية وواقعية. ونادراً ما تنتهي الفتاة الساذجة البريئة بين ذراعي

البطل كما تدل الوقائع الملموسة وبرغم ما تشاهدينه في الافلام السينمائية. انه يستغلك يا عزيزتي لاخضاع لارين والسيطرة عليها.

أكدت كلماته كل الشكوك التي راودتها منذ ان وقعت عيناها على لارين. ارادت ان ترفض تصديق كل ذلك. غير ان الواقع الرهيب كان يصفعها صفعاً ويقودها الى الاستنتاج ذاته بكل بشاعته وصفاقته.

توقف عزف الموسيقى. فسارعت براندي مبتعدة عن برايس الذي هز برأسه متهكماً:

- ستبدأ اغنية جديدة بعد قليل، لنستمر في الرقص. انهم لا يريدون وجودك هناك.

واشار الى طاولة جيم.

- هذه مسألة لا تحتاج الى شرح.

لا. لن تقبل الامر الواقع. ان لارين انسانة قبيحة لا تستحق أن تتخلى لها عن جيم وكل ما يمثله من رجولة وشهرة. توجهت بغضبها العارم وكبريائها الجريحة الى الطاولة، تاركة برايس يجرجر أذيال الخيبة وراءها. وها هو يطلق آخر سهم في جعبته وقد ادرك مدى تصميم براندي على الانضمام الى جيم ولارين:

- انت مجنونة يا براندي. ستمزقك لارين إرباً!

اقتربت من الطاولة وجيم يحدق اليها بعينين حادتي النظرات كأنه يقرأ أفكارها ويلمس تأجج النار في فؤادها. وقبل ان تخطو الخطوة الاخيرة نحو مقعدها بجانب جيم، سدّ طريقها رجل يرتدي ملابس قاتمة أنيقة. ظلت براندي واقفة تنتظر تحركه. لكنه صاح وهو يربت على كتف جيم:

- مساء الخير يا سيد كوربت.

والتفت الى لارين:

- مساء الخير آنسة ايفنز.

رد جيم بصوت يعلن عكس ما يبطن:

- السيد سبنسر، يا لها من مفاجأة!

وهمس برايس في اذن براندي:

- انه محرّر احدى الزوايا الصحفية.

ألقى الصحفي نظرة سريعة حوله وهو يوجّه كلامه الى لارين:

- يبدو انكم تحتفلون بشيء ما. هل أعلن أحد منكم خطبته؟

رددت لارين بقهقهة ممزوجة بالمكر:

- لا ابداً يا سيد سبنسر. انها مجرد فلتة في نهاية الاسبوع، يمكنك القول انه احتفال بعطلة الغد.

هز الصحفي رأسه بأسى مصطنع:

- يا لخيبة الأمل. اعتقدت اني حصلت اخيراً على سبق صحفي يكشف عمق العلاقة بينكما.

اكد جيم خيبة أمل الصحفي بكلمات بالغة الجدية:

- تعرف يا سبنسر اننا نعمل معاً في فيلم واحد. ومن الطبيعي ان نلتقي لمتابعة بعض المسائل. انها مجرد علاقة صداقة وزمالة مهنية.

وافقت لارين كاتمة انزعاجها:

- هذا صحيح. لا تجمعني بجيم سوى صداقة ودية.

ضحك الصحفي مزهواً بنفسه:

- سأورد عبارتك حرفياً في زاويتي!

اخترقت كلمات لارين صدر براندي كالسهم المسموم. ان هذه الممثلة تريد الايحاء بوجود علاقة حميمة بينها وبين جيم. وراقبت الصحفي يودعهما باضطراب وغثيان.

بذلت براندي جهدها لاخفاء استيائها وألمها الدفين. لمست لمس اليد ان علاقة جيم بلارين أعمق وأبعد مما كانت تتصور. لا. لا يمكنها ان تجلس بجانبه الآن. فلتبحث عن كرسي آخر. لكن برايس سحب كرسيها مشيراً عليها بالجلوس، فانصاعت لطلبه بمضض واشمئزاز.

وها هو جيم يطلب اطباقاً متعددة من الطعام بدون استشارة أحد

من الحضور. شعرت براندي ببعض الارتياح وهي تلاحظ تحوّل اهتمام الحضور الى المآكل الشهية. هذا يعني اقتراب نهاية الحفلة، ودنوّ عودتها الى منزلها...

٨ - الفجر كاذب احياناً

كانت لارين تشرف بنفسها على كيفية توزيع ضيوفها حول الطاولة، طالبة من براندي الجلوس بجانب جيم، الأمر الذي اثار استغراب براندي حتى ادركت ان لارين احتفظت لنفسها بكرسي عن يمينه.

وكالعادة كانت لارين تستأثر بالحديث. مع ان جيم حاول اكثر من مرة حث براندي على ابداء رأيها. غير انها غرقت في صمت مميت، تاركة لأنفها الأشم يحكي قصة كبريائها الجريحة.

انتهى الجميع من التهام اطباق الطعام المتنوعة ثم بدأوا بارتشاف القهوة. وعندما قدم النادل ليملأ الفناجين مرة ثانية تململت براندي مبدية انزعاجها من امتداد السهرة اطول مما توقعت. اطلقت آهة

عميقة مفصحة عن مشاعرها.

وتنبه جيم لوضع براندي السقيم، فنهض مسرعاً يرفض المزيد من القهوة.

ثم سحب كرسي براندي وهو يرد على تعابيرها المستغربة:

- آن لنا مغادرة هذا المكان يا براندي!

تعمدت لارين الاعتراض برغم عدم انزعاجها الفعلي:

- بهذه السرعة؟ لِمَ العجلة؟ ما زالت السهرة في بدايتها.

اجابها جيم بحزم:

- اشعر بالارهاق الشديد. كان يومي متعباً كثيراً.

ودّع جيم الجميع. وانصرف مع براندي متوجهاً الى سيارته. لم تبدر منه اية اشارة تنم عن شعوره الحقيقي. وذكرت براندي نفسها بعدم اهتمامها او مبالاتها، وانها لا تتمنى سوى العودة الى المنزل بأسرع ما يمكن.

غير انها لم تكن صادقة مع نفسها، فهي تبالي وتهتم. انها تحب جيم كوربت. الحب لا يصغي الى حكمة العقل والمنطق.

انه قدر محتوم لا جدوى من مقاومته او الهرب منه.

تجاوزت السيارة حدود توسون وبراندي محتفظة بصمتها، ترفض ذاكرتها استعادة بهجة القسم الأول من سهرتها... وقبل ان تطل لارين برأسها لتكشف لها عن نوايا جيم الفعلية واسلوبه الدنيء في استغلالها لغايات تأبى الانحدار الى مستنقعها، وبدون انذار اوقف جيم السيارة قرب الدرب المفروش بالحصى. حبست براندي انفاسها متوجسة. وسألته بفظاظة:

- لماذا توقفت هنا؟

اعلن بهدوء وهو يحملق في وجهها:

- اريد ان اعرف ما الذي يزعجك؟

ظلت عيناها جامدتين:

- لا افهم معنى كلامك.

استطرد قائلاً:
- حدث شيء كدر مزاجك. واريد معرفة السبب.
نظرت الى حقيبة يدها وقد بدت كالشبح في ضوء القمر الخافت. وقالت بصوت يضارع صوته هدوءاً ورباطة جأش:
- ان ما تقوله لا اساس له من الصحة.
اجابها هازئاً:
- ان صمتك ابلغ دليل على كلامي.
حامت على شفتيها ابتسامة شاحبة وهي ترد عليه متهمة:
- صمتي انا؟ لم تنطق حضرتك بكلمة واحدة منذ ان غادرنا المطعم.
كانت عيناه تخترقان اعماقها وهو يدرس كل كلمة يقولها:
- لم اجد طريقة لأكسر حاجز الصمت الذي احتميت وراءه اثناء العشاء. فقررت الانتظار حتى اكتشف سبب استيائك. اريد ان اعرف لماذا انت غاضبة؟
انطلقت عبارته كأمر لا يرد. ضغطت براندي على شفتيها تتمنى لو نفست غيظها دفعة واحدة، مصرة في الوقت ذاته على اخفاء حبها لجيم. واخيراً خرج جوابها دفاعي اللهجة مقتضباً:
- انا لست غاضبة!
كان ضوء القمر يتهادى على قسماته الصارمة، فأثار منظره في تلك اللحظة قشعريرة تؤكد لها ارادة هذا الرجل الفولاذية.
كرر كلامه طالباً جواباً نهائياً:
- اريد ان اعرف!
ظلت تخوض في داخلها صراعاً اليماً، متأرجحة بين التمرد والخضوع. لكن براندي لا تؤمن بالاستسلام من غير مقاومة. تركته يحدّق في وجهها ما يحلو له التحديق. واجابت بصوت التحدي:
- اكره ان يستغلني احد، وامقت معاملتي كمجرد اداة للتسلية.
ساد التجهم وجهه:

- ماذا تقولين؟ انا استغلك؟
زفرت غيظاً وهي تبعد يده التي امتدت تداعب وجنتها:
- آه... ارجوك. آن لك الاقلاع عن التظاهر بالبراءة. هل تظنني مغفلة. مغمضة العينين؟
انبسطت اساريره قليلاً:
- لقد راودتني الفكرة. هلا شرحت لي كيف استغلك؟
قالت معترضة، وهي تكظم غيظها المتأجج:
- هل تحتاج المسألة الى شرح؟ انا اعرف لماذا دعوتني الى العشاء الليلة، فلا حاجة للتظاهر بالغباء.
كادت قبضته تسحق اناملها الطرية:
- لماذا لا تكفين عن مخاطبتي بالألغاز؟ اين ذهبت صراحتك العفوية؟
وانفجرت كالبرق الخاطف:
- اعني لارين طبعاً، وتلك السهرة المهزلة!
تنفس الصعداء. هذا هو ما يزعجها اذن. اكتفى بالقول:
- فهمت الآن. اذن توصلت الى استنتاج محدد بشأن لارين، ودوافع اصراري على دعوتك هذه الليلة.
قررت عدم التعليق على كلامه.
- هل نعود الى منزلي من فضلك؟
اعلن جيم بمنتهى البرودة:
- قد تظنين ان من حقك سماع تعليل لكل ذلك. اطمئني فلن اقدم اي تعليل يرضيك!
ردت بلهجة مهاترة:
- لم اطلب منك تعليلاً او تبريراً يا سيد كوربت.
كاد ان يلعن الساعة التي التقاها فيها. فتاة عنيدة، مضطربة الاعصاب... تارة تتوق الى كلماته ويديه وتلبية كل رغباته، وطوراً تريد التخلي عنه ورفض رؤيته او حتى الاصغاء الى وجهة نظره.

غرق في صمت عميق وهو يحس بحجم الألم تغلي في جوارحها. . .

اسند رأسه الى الوراء، يحدق الى وميض النجوم البعيدة، كأنه يبحث بينها عن حل لهذه المشكلة المستعصية. وفجأة لمعت في ذهنه فكرة حاسمة، قاطعة لا لبس فيها. انها تحبه. تعشقه. تغار عليه، تريد الاستئثار به، تملكه، تدافع عنه، ولا تدع احداً سواها يدنو منه.

التقت عيناهما، وكأنهما يقولان معاً ان اللغز لا يصعب حله، والحب قوة قاهرة يصعب التغلب عليها.

عانقها كما لم يعانقها من قبل، وكأن يداً خفية امتدت الى اعماقها تزيل كل آلامها ومخاوفها وشكوكها. استخفت بتصرفها الطفولي، وغمرتها سعادة عارمة كأنها وهج شمس ساطعة يتبخر امامها جميع ما ترسب في قلبها وصدرها.

وتنحنح جيم قائلاً:

ـ الأفضل ان اعيدك الى المنزل الآن!

وقبل ان تعترض ادار محرك السيارة وانطلق متوجهاً صوب منزلها راح يحدثها بدون انقطاع حول تصوير الفيلم والطاقم الذي يعمل معه. ولاحظت براندي انه يطرق المواضيع نفسها التي وجدت صعوبة في فهمها اثناء السهرة وخلقت بعض الجفاء بينها وبين المجموعة. ادركت مدى تقديره لها وتفهمه لطبيعتها الحساسة.

اوقف السيارة امام مدخل منزلها الذي كان يغرق في ظلام دامس باستثناء ضوء خافت قرب الباب الأمامي. وسألته براندي:

ـ ما رأيك لو دخلت معي لنشرب فنجان قهوة؟

رفض بسرعة:

ـ لا. علي النهوض باكراً لتصريف بعض الأمور المهمة.

تجهم وجهها وهي تتذكر قول لارين عن الاحتفال بعطلة الغد:

ـ ولكن غداً ليس يوم عمل؟

صحح كلامها:

ـ اننا لن نقوم بأي تصوير غداً. ولكن علي مراجعة بعض النصوص وعقد اجتماع عمل مع دون، مدير اعمالي. انه يوم مليء بالشغل.

ابتسمت ابتسامة صفراء محاولة اخفاء خيبة املها اذ كانت تمني نفسها برغبة جيم في قضاء بعض اليوم التالي معها:

ـ طبعاً. فاتني كل ذلك.

سألها:

ـ هل تنهضين باكراً؟

فنظرت اليه مستفهمة:

ـ في بعض الأحيان لماذا؟

ولم تتوقع جوابه اللبق:

ـ احب التنزه على الحصان عبر الصحراء في الصباح الباكر وقبل ارتفاع حرارة الشمس. هل تودين الركوب معي غداً؟

وهتفت:

ـ نعم!

فأردف:

ـ هل الخامسة والنصف وقت مبكر؟ سأجلب حصاني الى هنا.

وافقت بسرعة:

ـ عظيم جداً!

قال وهو يفتح باب السيارة:

ـ الى اللقاء غداً صباحاً.

انتظر في سيارته الى ان فتحت الباب وغابت عن الانظار. ولم تدرك براندي الا بعد رحيله انه حافظ على كل كلمة قالها حول عدم اضطراره لتفسير اي شيء عن لارين. ولم تلبث ان غطت في نوم عميق.

سكبت براندي عصير البرتقال في كاس صغير. وجرعته دفعة واحدة وهي ترنم لحناً بابتهاج ومرح. وما كادت تغلق الثلاجة حتى

ترامى الى اذنيها وقع خطى في البهو الخارجي. نادى والدها متقدماً نحوها بشعر شعثه النوم، وملامح تعلوها امارات الاستغراب:

- براندي! ماذا تفعلين في هذه الساعة المبكرة؟

اجابته كأنها تعلن عن فوزها بجائزة ثمينة:

- سيأتي جيم بعد قليل لنمتطي الخيل في نزهة صحراوية.

قطب ستيوارت ايمس حاجبيه مسمراً نظره على ساعة الحائط:

- الآن، في الساعة الخامسة صباحاً!

سكبت براندي مزيداً من عصير البرتقال وهي تقول:

- دقق النظر مرة ثانية يا ابي. انها الخامسة والنصف!

- ان الفجر لم ينبلج بعد!

اسرعت براندي نحو شباك المطبخ وهي تسمع هدير سيارة. ورأت قاطرة شاحنة صغيرة تنقل حصاناً وهي تتوقف امام المدخل. تناولت سترتها الجلدية وقالت:

- انه هنا يا ابي. القهوة جاهزة. قبّل امي عني...

توجهت نحو الباب الجانبي مطمئنة البال وقد اسرجت حصانها قبل تناول وجبة الفطور. اوقفها صوت والدها وهو يسألها:

- اخالك تجهلين معنى انبلاج الفجر؟

سألته:

- لماذا؟

وحاولت الضغط على اعصابها، مع انها لم تكن مستعدة لسماع محاضرة علمية الآن وجيم ينتظرها في الخارج:

تابع ستيوارت ايمس:

- انه وقت العشاق والمتيمين!

ضحكت براندي ووجهها يشع فرحاً. وطبعت قبلة على خده منطلقة كالسهم الى الخارج.

كان حصان جيم يقف مشرئب الأذنين بسرجه ولجامه. وقوائمه البيضاء، يراقب بتمعن اقتراب براندي. وصاح جيم:

- صباح الخير.

فردت براندي التحية:

- صباح النور.

وقبل ان يسألها قالت:

- ان حصاني جاهز ينتظرني في الاسطبل وراء المنزل.

امتطى جيم حصانه وتوجه مع براندي نحو الاسطبل.

كانت خيوط الفجر تتسلل ببطء فوق الأفق الشرقي عندما انطلقا بحصانيهما صوب الصحراء الخالية، والجو يعبق بشذى المريمية العطر. واخذ حصان براندي العربي الرمادي يثب متبختراً، دافعاً برأسه الى الوراء، يتقدم بزهو زميله الأكثر هدوءاً. قالت براندي والشمس تطل بأشعة ذهبية شاحبة:

- ما اروع هذه اللحظة!

ورد جيم:

- انها رائعة حقاً.

خيم الصمت عليهما وهما يمتعان الانظار بولادة يوم جديد. تتدرج الوانه ذهبية فبرتقالية وينكشف الفضاء الارجواني عن زرقة عميقة، الى ان تصعد الشمس رويداً بأشعتها الذهبية. غير ان لغروب الشمس ابهة فريدة لا تضاهى.

كبح جيم جماح جواده فوق قمة هضبة صغيرة وراح يتأمل المناظر الطبيعية المترامية، فهتفت براندي مدركة مدى تعلقه بالصحراء:

- انه مشهد لا تمل منه العين.

انحنى جيم نحو مقدمة السرج واعلن:

- إن هذه الارض تعلّمنا كيف ننظر الى الحياة بمنظار صحيح. ليس الانسان في الصحراء اكثر من مخلوق متواضع حيث تتلاشى قيمة الاشياء المادية. لا يمكن لمال الدنيا مضارعة منظر كهذا. كلما اتيت الى هنا أجدّد ثقتي بنفسي واجمع زاداً لغدي.

وعقّبت براندي:

- اذن انت لا تأتي الى الصحراء لمجرّد الهرب من الناس والتمتع بالعزلة.

هز جيم بكتفيه:

- اعتقد ان انجذابي الى الصحراء يعود الى أسباب لا حصر لها ولا مجال لذكرها كلّها. لنتابع نزهتنا. ان جوادي ينتظر بفارغ الصبر!

وانطلق الحصانان بخبب منتظم وبراندي تطرح سؤالاً جديداً:

- كم سيستمر تصوير الفيلم في توسون؟

أجابها:

- ليس اكثر من شهر.

فسألت:

- وبعد ذلك؟

نظر الى الشمس كأنه يتبين الوقت من مدى ارتفاعها:

- بعد ذلك نعود الى لوس انجلس لوضع اللمسات الاخيرة.

شعرت بالحزن وهي تتصور رحيله بعد شهر واحد. كان رحيله مسألة لا مفرّ منها، لكنها رفضت الاعتراف بالنتائج المترتبة على غيابه بالنسبة اليها.

سألته وهي تحاول إخفاء عواطفها:

- ما الذي ستفعله بعد الانتهاء من تصوير الفيلم؟

قال وكأنه يقرأ افكارها:

- وقّعت عقداً لتمثيل فيلم آخر. وسنشرع بالعمل فور الانتهاء من الفيلم الحالي. وهكذا تجدين اني غارق حتى أذني في العمل المتواصل حتى نهاية العام. وربما الى مدة أطول اذا ما نجح دون مدير أعمالي في تنفيذ ارادته.

وصمت قليلاً ثم اردف:

- ولن نصور أي فيلم جديد في ولاية اريزونا.

لم تكن تتوقع هذه الصفقة الحادة:

- انك دائم التنقل من مكان الى آخر. وترحل الى معظم انحاء

العالم فلا يتسرب الضجر الى حياتك.

نظر جيم الى البعيد وهي تراقب تعبير وجهه الصارم وقال:

- لطالما أحببت السفر في السابق. المزرعة وحدها تجذبني للعودة والاستقرار.

وما معنى كلماته الآن؟ كيف يجرؤ على اتهامها بالغموض والتحدث بالالغاز وها هو الآن يمارس الشيء نفسه! واستوضحته:

- والآن، ألم تعد تحب السفر؟

غطت ملامحه سحابة داكنة:

- الآن حان وقت عودتنا الى منزلك!

تعمّد اساءة فهمها. وظنت براندي انه لم يحدّد موقفاً نهائياً منها بعد. ربما بسبب لارين؟ عادت تعذبها الحيرة وهي تكاد تقضم شفتيها قضماً موجعاً. وسارت في اعقابه محطمة الآمال، مهشمة الأجنحة. وفجأة لكزت حصانها وهي تتحدّى جيم:

- لنعد الى المنزل سباقاً!

وراح حصانها العربي يعدو بأقصى سرعته. ولم يملك جيم الا تلبية التحدي مطلقاً لفرسه العنان. تراءت أمامها الصحراء مرحّبة منادية وبراندي تتصدر ميدان السباق، مرخية ضفائرها لنسيم الصباح المنعش. ظلت تحثّ رشاد للإسراع اكثر فاكثر، لكن جيم لم يكن أقل حماسا، فما لبث ان تقدم حصانه حتى أصبح يعدو عنقا لعنق مع زميله العربي.

وها هو الآن يمدّ رأسه متجاوزاً رشاد قليلاً. وهنا وبحركة سريعة امسك جيم اللجام بين يدي براندي، مؤديا الى إبطاء عدو الحصانين الى مجرد خبب خفيف، فصاحت براندي لاهثة:

- سبقتك لمدّة لا بأس بها!

أجاب جيم مقهقها:

- تستطيعين تكرار تفوّقك ثانية. ان حصاني يجيد العدو لمسافات قصيرة لا تتجاوز الميل، بعد ذلك يحتل حصانك العربي الميدان بدون

عناء.

قالت براندي، والحصانان ينفخان ويلهثان:

- لا ليس صحيحاً. انك قررت العدول عن السباق وانت تتقدمني.

قرّب حصانه منها:

- نعم كنت في المقدمة، مما يعني انني الفائز أليس كذلك؟

ابتسمت براندي معترضة:

- لانك لم تكن مستقيماً.

واجاب:

- إن استقامتي مضرب الامثال!

وتهادى الجوادان بتمهل عبر الصحراء يحملان قلبين عاشقين يخاف كل منهما غموض المستقبل...

قال جيم بعد هنيهة:

- اذا لم يطرأ أمر مفاجىء، سأقضي أسبوعاً حافلاً بالعمل. وسأضطر للشغل حتى ساعة متأخرة من الليل. لذلك لن اتمكن من رؤيتك حتى نهاية الاسبوع. ولكن سأتصل بك هاتفياً في اي حال.

تمنت براندي لو اتى على ذكر شيء اكثر تحديداً بالنسبة الى نهاية الاسبوع:

- لا بأس، اتفهّم وضعك.

انتصبت صورة لارين في ذهنها... حسناء. لعوبة. تلتقي بجيم كل يوم من الاسبوع المقبل، فالتهبت الغيرة في قلبها لاذعة. حادة. حارقة.

٩- الخروج من الشرك

صاحت كارن:

- براندي انك مطلوبة على الهاتف.

وابتسمت لزبون دخل الحانوت هامسة في أذن صديقتها:

- انه هو.

مشت براندي نحو الهاتف بخطى وئيدة، وبعكس تسارع نبضات قلبها. اذ بعد مرور يومين كادت تيأس من اتصال جيم بها. تملكت أعصابها رافعة السماعة:

- هالو.

أجابها بحماس:

- براندي؟ أنا جيم. أرجو ان لا تعترض صاحبة الحانوت على

المكالمات الخاصة.

سرت قشعريرة عذبة في شرايينها وهي تسمع صوته الدافئ، وطمأنته قائلة:

- لا ابداً.

- وعاجل يسألها:

- هل انت حرة هذا المساء؟

قفز قلبها في داخلها:

- نعم.

فاستطرد:

- لم يسمح لي وقتي للاتصال من قبل. توم مكويد احد الممثلين! وجين بيكر سكرتيرة المدير توجها الى المكسيك الليلة الفائتة وعقدا زواجهما. وقررنا الاحتفال بالنبأ السعيد فور الانتهاء من التصوير في نهاية هذا اليوم. هل تأتين؟

كانت ردة فعلها الأولى ان تقول نعم بلا تردد. ثم استغربت عدم دعوته للممثلة الحسناء لارين، او هل ينوي استغلالها ثانية لاثارة غيرة لارين؟ قطع صوته حبل أفكارها:

- براندي؟

لفّت شريط الهاتف بعصبية حول اصبعها:

- نعم. ما زلت معك. قد يكون من الأفضل لك دعوة لارين عوضاً عني. فهي تعرف الجميع وتتقن الاندماج مع هذه الأجواء.

صمت جيم هنيهة ثم قال بحزم:

- لو أردت اصطحاب لارين الى الحفلة لما كنت دعوتك. هل تودين المجيء ام لا؟

همست:

- نعم أود المجيء.

فأردف مغتبطاً:

- حسناً. سأبلغ المسؤول عند البوابة ليتوقع حضورك بين الساعة

السادسة والسابعة. عليّ العودة الى التمثيل الآن. الى اللقاء هذا المساء اذن.

وأقفل جيم خط الهاتف قبل ان تجيبه بكلمة. حملقت براندي في السماعة المتدلية من يدها متمنية لو رفضت دعوته وبغض النظر عن لهفتها لرؤيته.

وبعد الساعة السادسة بقليل كانت براندي توقف سيارتها في المكان المعهود من مدينة توسون القديمة. ظلت جالسة في مقعدها للحظات تتمنى لو تملك القدرة لتقفل راجعة. ولكن هيهات. لا بد لها من وضع جدية جيم على المحك واكتشاف مدى رغبته في دعوتها الى الحفلة.

مشت نحو المبنى الأمامي تساورها الشكوك حول دناءة استغلالها عمداً. كان الرجل الأصلع نفسه الذي رأته في زيارتها السابقة ينتظرها بابتسامة عريضة هاتفاً:

- مرحباً آنسة ايمس. كنت أتوقع وصولك.

أجابته بابتسامة شاحبة:

- ذكر لي السيد كوربت انه سيبلغك عن مجيئي.

وسارع ينادي مساعده ليرافقها الى الداخل قائلاً:

- مساعدي تروي سيرافقك الى مكان الحفلة.

وما هي الا مسافة قصيرة حتى ترامت الى أذني براندي أصوات الجلبة والضحك والهرج والمرج. فعلّقت:

- يبدو ان الحفلة قد بدأت!

رد مرافقها:

- بدأت منذ ساعتين. ولكن ما زال الضيوف يتوافدون.

واستفهمت تريد الاستطلاع عن جيم بأسلوبها الخاص:

- هل وصل الجميع؟

وجاءها الجواب:

- سينضم السيد كوربت الى الحفلة بعد قليل.

وما ان بلغا أطراف حلقة المحتفلين حتى رأت شخصاً مألوف المظهر يغادر شلة اصدقائه ويتقدم صوبها. هتف برايس كونفر بلهجة ممزوجة بالسخرية:

- يا للعجب. يا للعجب. لا أكاد اصدق عيني!

وتابع:

- انها تلك الفتاة البريئة اتت لتجرب حظها مرة ثانية!

تجاهلت براندي كلماته النابية بالقول:

- مرحباً سيد كونفر.

اصر عليها:

- لنرفع الرسميات. ناديني برايس.

وخاطب المرافق بغطرسة:

- يمكنك الانصراف الآن. ان الآنسة امس تحت عنايتي!

انحنى المرافق مودعاً براندي. وعاد أدراجه ممتعضاً من أسلوب هذا الرجل المتعجرف. وخاطبت براندي كونفر بقساوة:

- لم يكن من اللائق صرفه بهذا الاسلوب. ان بعض التهذيب لا يضر.

فقال بصوت مستنكر:

- وما فائدة التهذيب؟

حدجته براندي مستغربة:

- هل من الضروري وجود فائدة او نفع لكل شيء؟

تناول برايس كونفر يدها وضمها تحت ابطه هاتفاً:

- طبعاً. لكل عمل غاية محددة!

سألته وقد صدمتها صفاقته:

- وما الغاية من توددك الي؟

اكد لها:

- انها غاية مفيدة جداً!

حثته براندي على كشف نواياه:

- وما هي؟

قال ببساطة:

- طلبت مني لارين استضافتك واكرامك.

لم تتمكن من سحب يدها بعيداً عنه:

- وما هو سبب نزولك عند ارادتها؟ هل انت تعشقها ام ماذا؟

قهقه بصوت عال:

- كل ما في الأمر ان لارين ستصل الى القمة كنجمة سينمائية. انا شخصياً لا أعتقد انها تملك المؤهلات الكافية لذلك. ولكنها ستتألق كنجمة عالمية بطريقة او بأخرى. ومن المفيد اكتساب صداقة أناس بهذا المستوى. اذ أتوقع منها ان ترد خدماتي باقتراح اسمي للعب دور بارز في أفلامها المقبلة.

تنهدت براندي:

- انك مجرد مرتزق!

فابتسم برايس:

- هذا ليس ارتزاقاً. انه طموح وعزم. هيا بنا لتناول بعض المرطبات.

حاولت براندي فك أسار يدها بدون جدوى:

- استطيع ان أتدبر امري وحدي. شكراً!

قال متملقاً:

- سأكون الليلة مثل ظلك ولن أسمح لك بالتخلص مني. فمن الأفضل اغتنام هذه الفرصة!

نظرت اليه غاضبة:

- لا. شكراً.

طغت على صوته سخرية لاذعة:

- هل تعللين النفس بشهامة جيمس كوربت لانقاذك؟

فذكّرته باعتداد:

- هو اللذي دعاني!

قال هازئاً:

- هل سألت نفسك عن الدافع وراء الدعوة؟

ضحك وهو يلاحظ اضطرابها فقادها الى حلقة الحفلة حيث يتجمع الناس. وأخيراً تمكنت من اطلاق سراح يدها التي حجزها تحت ابطه طوال هذه المدة. وأخذت تجيل نظرها في الحضور بحثاً عن وجه جيم ولكن بدون جدوى. وتمتم برايس:

- كفي عن التفكير به. ومتعي النفس بالحفلة!

قالت متأففة:

- وما رأيك لو تدعني وشأني؟

أجابها متعمداً التحدث بصوت عال:

- لا يسمح . . . ضميري باهمالك وتركك وحيدة.

واستطرد يقدمها الى بعض الذين وقفوا بقربهما:

- هل تعرفت على توم وماري يا براندي؟

وأدارها بخفة متناهية صوب توم وماري، وبراندي تعتذر عن عدم تعرّفها عليهما. ولم يذكر برايس أي شيء حول مجيئها بناء على دعوة جيم. فوجدت نفسها في مأزق صعب لا تدري كيف تبرر حضورها.

عزت نفسها ان برايس قد كفّ عن تهكمه اللاذع. لكنه عوّض عن صمت لسانه بالتفاف ذراعه حول خصرها، وعلى نحو دفع براندي الى الرضوخ للأمر الواقع. وبينما هي غارقة في صراعها الخفي تبحث عن اسلوب للابتعاد عن برايس، سمعت جيم يهتف من الوراء:

- كم أنا مسرور لرؤيتك مع بعض الأصدقاء!

استدارت لتوها نحو جيم، فرأته واقفاً وراءها مع لارين وهي تبتسم بارتياح ماكر. اشتعلت وجنتا براندي غضباً واستياء.

زاد برايس الموقف سوءاً بقوله:

- لا يا براندي، لماذا يعذبك ضميرك هكذا؟ سيظن جيم الآن ان

شيئاً ما يدور بيني وبينك!

تمنت براندي لو تصفع هذا الوجه القبيح، لكنها ضبطت أعصابها وهي تفكر في اللغط الذي سيثيره عمل كهذا. قررت تجاهل برايس كلياً. وسألت جيم بهدوء:

- هل فرغت من عمل اليوم يا جيم؟

قال باقتضاب:

- نعم.

وعقب برايس بخبث:

- تعني انكم وضعتم اللمسات الأخيرة على ذلك المشهد الغرامي بينك وبين لارين؟

نظرت لارين الى جيم بابتسامة حميمة:

- نعم. ختمنا المشهد بنجاح بعد قضاء نهار كامل تقريباً!

أحست براندي بالدوار وهي تتصور لارين بين ذراعي جيم طوال النهار. وأعلن جيم فجأة:

- والآن اعذرينا يا لارين. سأصطحب براندي لتقديم التهاني الى العريس والعروس.

لم تتوقع براندي اعلانه المفاجيء وحرمان نفسه من صحبة لارين. اوليس بهذه السرعة على الأقل. وبدت امارات الاستغراب على لارين هي الأخرى ولم تستر امتعاضها البالغ. لكنها عوض الاعتراض ابتسمت قائلة:

- بلّغ العروس حبي اني سأراها فيما بعد.

هز جيم برأسه:

- طبعاً.

أمسك برايس بيد براندي وهو يقدمها لجيم:

- انها الآن بعهدتك يا جيم!

وضغط برايس على معصم براندي بطريقة أطاحت بكأس العصير من يدها، فانصبّ السائل فوق فتحة فستانها الأمامية.

وصاحت لارين حانقة وهي تأخذ منديل جيم الذي أخرجه من جيبه:

- برايس، أيها المغفل! انظر ماذا فعلت؟

راحت لارين تجفف ذراعي براندي التي وقفت مشدوهة تكاد لا تصدق اهتمام هذه الممثلة اللعوب بمظهرها. واحتج برايس مدافعاً عن نفسه:

- آسف انها غلطة شنيعة غير مقصودة!

لكن لارين تابعت تأنيبها:

- هل فقدت عقلك؟ ان السائل سيخلّف بقعة قبيحة قبل ان يجف.

ووجهت كلامها الى جيم:

- من الأفضل غسلها بالماء البارد. ان غرفتك هي الأقرب، هل تسمح لنا باستخدامها؟

أخرج جيم المفتاح من جيبه وناوله للارين. وسألت ماري وهي ترى لارين تقود أمامها براندي المدهشة:

- هل يمكنني المساعدة؟

ردّت الممثلة بابتسامة باهتة:

- لا تزعجي نفسك. سنتدبر الأمر أنا وبراندي.

توجهتا الى غرفة جيم. وأدارت لارين المفتاح في قفل الباب وهي تومىء لبراندي بالدخول امامها قائلة:

- يمكنك خلع فستانك هنا وسأملأ المغسلة بالماء.

بدأت براندي تتقدم نحو ممر ضيق وهي تحسب انها أساءت فهم لارين طوال المدة الفائتة. لقد أعمتها الغيرة لدرجة التغافل عن طبيعة هذه المرأة اللطيفة المراعية لمشاعر الآخرين.

تلعثمت براندي:

- لارين، لا أعرف كيف... اشكرك على مساعدتك لي. وهذه البادرة اللطيفة...

كانت الحنفية تتدفق في المغسلة ولارين تجيب:

- انه واجبي!

خلعت براندي فستانها فلم تجد سوى بقعة صغيرة على ملابسها الداخلية. واقتربت منها لارين مادة يدها:

- اعطني فستانك.

وتابعت وهي تدير ظهرها:

- بالمناسبة يوجد في الخزانة على يمينك فستان لي يمكن ارتداؤه.

فتحت براندي الخزانة فوقع نظرها على الفستان القرمزي الحريري معلقاً مع عدد من قمصان جيم وملابسه النظيفة. تجمّد الدم في عروقها وسقطت أقنعة الادعاء الكاذب وبراندي تدرك سبب لطف لارين وكياستها. وراودتها الشكوك حول الحادثة كلها. انه فخ نصبته لها لارين.

لم يكن الهدف الأساسي من هذه المهزلة كلها سوى حمل براندي على اكتشاف فستان لارين في غرفة جيم، ولا بد انه رآه معلقاً هناك في المقدمة، وبلونه القرمزي الفاقع. لا شك اذن ان لارين امرأة جيم. وهي تريد اقناع براندي بهذا الواقع مرة والى الأبد.

انها طعنة نجلاء تمزق شغاف قلبها. ترددت براندي لحظة قبل ارتداء الفستان القرمزي. وما كادت تربط الزنار حول خصرها حتى سمعت لارين تسألها:

- ألا تريدين الاستفهام حول الفستان؟

شدت براندي الزنار دافعة رأسها الى الوراء بكبرياء:

- أهذا ما تريدينه أنت؟

هزت الممثلة السمراء كتفيها:

- ظننت ان وجوده هنا قد يثير تساؤلاتك!

فردت وهي تتجه نحو المغسلة:

- لا ابداً! كنت أعرف رغبتك للاستئثار بجيم.

وأعلنت لارين:

- تعنين الحصول عليه!

رفعت براندي فستانها تنظفه بالأسفنجة قائلة:

- أعتقد انك أخطأت التعبير. ألم يكن عليك القول انك تحبينه قبل أي شيء آخر؟

وافقت لارين:

- طبعاً أحبه. اننا نلائم بعضنا من كل النواحي.

وتذكرت براندي كلمات برايس في بداية الحفلة:

- تعنين ان شهرة جيم ومواهبه ستساعدك على التسلق الى القمة!

وصمتت براندي ؟!لا، وهي لا تزال تشك بعمق حب جيم لها. ولكنها قررت رد الصاع صاعين وافهام لارين حقيقة مشاعرها:

- انا احب جيم كوربت الرجل. اما أنت فتحبين جيمس كوربت النجم السينمائي الشهير!

قهقهت لارين:

- ما هذا التلاعب بالكلام؟ انا لا أميز بين الاثنين.

وقالت براندي متحدية:

- اذا كان الأمر كذلك فلماذا تخافين مني؟

وردّت لارين بكلمات تقطر سماً:

- انك تذكّرينني بابنة عمي. كانت تتظاهر دائماً بالنعومة والبراءة مثلك تماماً. لكنها كشفت عن طبيعتها المنافقة عند أول فرصة. لن أسمح لك بتدمير مستقبلي!

قالت براندي بقرف واحتقار:

- للأسف الشديد ان جيم لا يعرفك على حقيقتك. وربما يعرفك جيداً ولذلك قرر اقامة علاقة معي!

سخرت منها لارين:

- تشاجرنا، فلجأ اليك لاثارة غيرتي. وأبدى لي منذ لحظات معدودة أسفه لدعوتك الى الحفلة الليلة. وقرر التظاهر بالاعياء الشديد وارجاعك الى المنزل في ساعة مبكرة. اذا كنت تريدين

الحفاظ على ماء الوجه أنصحك ان تغادري هذا المكان فوراً. وباستطاعتك تبرير تصرفك بما حدث لفستانك!

استمرت براندي تنظف فستانها:

- هذا ما تحلمين به، أليس كذلك؟

وصاحت لارين:

- يا لك من فتاة مغفلة.

وقبل ان تجيبها براندي تسلل جيم من الباب على رؤوس أصابعه. وانتصب واقفاً امامهما. تغلبت لارين على ذهولها بسرعة. وخطت نحوه تخفي غيظها بابتسامة شاحبة. وخاطبته بصوت مرح في حين ظلت براندي مسمّرة في مكانها:

- جيم، لم يكن يدور بيني وبين براندي سوى. . .

وقاطعها بجفاف:

- أعرف ما الذي دار بينكما. كنت أصغي اليكما من الخارج.

فقدت لارين اتزانها وهي تسمع كلماته. وحدجت براندي كأنها تلومها على ما جرى، ثم قالت لجيم:

- لا تقل لي انك ستؤيد هذه المؤامرة ضدي.

أجابها بهدوء:

- لقد ارتكبت خطأً مميتاً يا لارين. وبدأت تصدقين ما تقرأين من اشاعات في الصحف!

اعترضت لارين:

- ولكن انا وأنت. . .

وصرخ جيم في وجهها:

- لم يكن هناك. . انا وأنت. . . الا في خيال خبير الدعاية لديك. جئت الي طالبة بعض التغطية الصحفية لمساعدتك في مهنتك، ووافقت على الاشتراك في ذلك. هذا كل ما كان بيننا.

واستطرد وبراندي ترقص طرباً:

- والآن اقترح عليك مغادرة هذه الغرفة قبل ان أرميك خارجاً!

تجمدت لارين في مكانها تحاول كبح غضبها المتأجج. ثم دفعت شعرها الى الوراء ومشت ببطء نحو الباب وأوصدته وراءها بعنف شديد...

وما ان توارت لارين عن الأنظار حتى استدار جيم نحو براندي وقال وهو يتأمل الفستان الحريري القرمزي الذي ترتديه:

ـ هذا اللون لا يناسبك!

وأجابته بعفوية:

ـ هذا كل ما وجدته في الخزانة.

قال جيم يبدد مخاوفها:

ـ ارتدته لارين اليوم لتغطية أحد أزيائها. ويبدو انها تركته هنا عندما عرجت عليّ عند الظهيرة لاعطائي بعض نصوص الفيلم الجديدة. تذكرت الفستان وعرفت انها تركته متعمدة. وفطنت الى خطتها كلها!

اقتربت منه براندي هامسة:

ـ كانت خطة محكمة فوقعت في الفخ!

أخذ منها الاسفنجة ورماها في المغسلة قائلاً:

ـ هلا تكرمت عليّ بتكرار تعبيرك السابق؟

نظرت في عينيه السوداوين مستفهمة:

ـ أي تعبير؟

قال وهو يلتهمها بنظراته:

ـ تعبير حبك لأحد ما.

دنت منه براندي وأناملها تتشبث بين يديه:

ـ أنا.. أنا أحبك يا جيم!

وبابتسامة بطيئة متمعنة أجاب:

ـ في هذه الحالة لن تبدي معارضة اذا ما قلت لك اننا سنتزوج في شهر آب (أغسطس).

حبست براندي غصة الغبطة:

ـ لا استطيع الانتظار كل هذه المدة!

قال مداعباً ضفائرها الذهبية:

ـ أريد ان أكون واثقاً تماماً. أريدك ان تكوني واثقة من حبك لي بمقدار ثقتي من حبي لك!

ترقرقت الدموع في عينيها:

ـ انا واثقة كل الثقة.

فضمها الى صدره وهو يهمس في أذنها:

ـ اني أحبك.. أحبك!

غمرت براندي أشعة السعادة الدافئة. وكان غروب الشمس يتدفق عبر النوافذ مضيئاً وجهيهما بشعلة ذهبية عاشقة...

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 118

على حصان الفجر

الصحراء التي ضاعت فيها براندي ايمس ذات ليلة عندما أجفل حصانها وهرب لم تكن الا صورة طبق الأصل عن حياتها... رمال عذراء ناصعة لا تعرف الا الظمأ. قادتها قدماها الى النار الوحيدة التي كانت تثقب سماء الليل، والى الرجل الذي ظنته لصاً هاربا من العدالة لأول وهلة، وتبين لها ان ظنها هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة...

رعاها، وداوى الخدوش التي أصيبت بها وهي تهيم على وجهها في الصحراء. ولكنه بالمقابل مزّق الغشاء الرقيق الذي كان يغلّف قلبها بأبخرة الأحلام. تمنت لو يتوقف كل شيء عند هذا الحد. ولكن حياتها منذ الآن مغامرة لا تعرف العودة الى الوراء...